

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمية
المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي - تيسمسيلت -
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي
مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي موسومة بـ:

**إستراتيجية الخطاب الإقناعي
في القصص القرآني
"خطبات إبراهيم عليه السلام- نموذجاً"**

إشراف:

إعداد:

• بن فريحة الجيلالي

❖ بردوس فطيمة

❖ ضبيب رشيدة رشيدة

السنة الجامعية:

1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه، عمل لا تنضب مادته ولا يقل زاده، وجهدا لا تضيع مساعيه، ولا يخيب رجاء من خاض فيه، فالقرآن الكريم أوسع كتاب على الأرض، لأنه يحتوي على أشمل و أكمل و أوسع خطاب؛ فهو رسالة الله إلى الناس كافة في كل زمان ومكان فهو معجزة الإسلام وخاتمة الرسالات التي جاء بها الأنبياء.

فلا غروه أن يكون أول كتاب علّم الناس كيف يفكرون، وكيف يستنبطون الأحكام العقلية المنطقية المبنية على نتائج صحيحة، فاعتبر استخدام العقل والفكر السليم مبدءاً أساسياً في الإيمان الصحيح، والعلم والفطنة والتدبر.

فالخطاب القرآني من حيث هو رسالة سماوية، شكل بناء تبليغياً مؤسساً وفق مقدمات خطابية تواصلية، تخاطب وتحاور الآخر، معتمدا استراتيجيات تناجى روح المتلقي وعقله وضميره لذلك فالقرآن الكريم يدعو إلى عقيدة التوحيد من خلال آياته، فقد وقف على دعوة الرُّسل لأقوامهم، وذكر ما كابدوه من إيذاء منهم، وما لا قوه من عوائق بداية بأول رسول "نوح - عليه السلام-" إلى آخر المرسلين "محمد - صلى الله عليه وسلم-"، فكان نصر الله لهم بأن أيدهم بمعجزاته، حتى يردوا كيد القوم الظالمين بالحجج والبراهين الدامغة، التي تثبت صحة دعواهم .

وحجاج الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم، من أبرز الدلائل على قوة محاجة هذا القرآن وقد كانت له طريقة خاصة في إقامة الحجّة والبرهان، إذ نجد في هذا القرآن الكريم ألواناً كثيرة من المحاورات دارت بين الرُّسل وأقوامهم فأخذت مساحة كبيرة منه، حتى يعلم الناس كيف يحاورون الآخرين على أساس الحجّة، والبرهان والدليل، فيكون لهم نموذجاً يحتذى به.

هذا الخطاب القرآني العام والشامل؛ اتخذ من أساليب الحجاج والاستدلال، والجدال والإقناع ما هو جدير بكتاب أنزله رب العالمين وخالقهم، فجاءت أساليبه شاملة، متنوعة فلم تغادر صغيرة ولا كبيرة من أساليب هذا الحجاج الحق، والإقناع الحسن إلا أحصاها واستخدمها مستنداً إلى أدلة

وبراهين يدعمها العقل، وتقبلها الفطرة السليمة؛ ما جعل الخطاب القرآني دافعا إلى التفكير الرصين والتأمل بالعقل، الذي ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات، فسلك أفضل السبل التي تهديه إلى الإيمان، والصلاح والتقوى، فكان سر الخطاب القرآني الحجاجي تنوير العقول وهدم لكل ما يحجب الحقيقة عنها، من أوهام باطلة وخرفات واهية.

اعتمد الخطاب القرآني على أنموذج تاريخي عريق، يبين من خلاله أن عقيدة التوحيد هي عقيدة البشر منذ بدء الخليقة، هذا النموذج هو نبي الله "إبراهيم -عليه السلام-" واختيار خطاباته دون غيره من الأنبياء، لم يكن اختيارا عشوائيا، بل لأن "إبراهيم عليه السلام" بنص الخطاب هو أول المسلمين، والإسلام هو ملة "إبراهيم -عليه السلام-" الحنيف الذي لم يكن من المشركين، كما أن العرب تنسب نفسها جميعا إلى إبراهيم عبر ابنه إسماعيل، فكان حجاج "إبراهيم -عليه السلام-" في القرآن على مستوى واحد، من خلال توجهه إلى مخاطب واحد، وهم عرب قريش بالدرجة الأولى، والذين يحملون عقلية واحدة هي عقلية الجاحدين المعاندين، "إبراهيم -عليه السلام-" مارس التبليغ بمنطق توصيلي، فحاور وحاجج وناظر بمختلف الطرق البرهانية، الملائمة للإقناع بالعقيدة التي حملها إلى أبيه وقومه.

ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع يتعلق بالدراسات القرآنية، والموسوم ب: إستراتيجية الخطاب الإقناعي في القصص القرآني خطابات "إبراهيم -عليه السلام-" نموذجا، وذلك بالوقوف على حجاجية النص القرآني بما قدمه من نصوص، وأساليب أتاحت للعقول إدراك قداسة الرسالة النبيلة للقرآن، كما أن تتبعنا لقصص القرآن أتاح لنا فرصة التأمل في أغراضها وفي كل ما عرضه من شخصيات، وأحداث وعبر جعلتنا ندرك أن القصة القرآنية من أهم الوسائل الحجاجية في القرآن الكريم، لما تحويه من صدق وانسجام، وجمال واثتلاف الغرض الديني بالغرض الفني ليحقق الحجاج فيها غايته، ولما كان القرآن معجزا في كل شيء كان أيضا قمة في الإعجاز القصصي؛ حيث الإقناع العقلي، والإيحاء النفسي، والجمال الفني، وما لفت انتباهنا أيضا هو تلك العلاقة الموجودة بين الخطاب القرآني، والخطاب الحجاجي، فكلاهما له دور فعال في عملية الإقناع ما دفعنا إلى أن نسلك

طريقنا في النظر إلى القصص القرآني، كونه يمتاز بسمات تواصلية تحاور وتسرد، تستفهم وتقرر، وتؤكد وتبرهن.

فحاولنا من خلال بحثنا هذا الإجابة عن تساؤلات عدة منها:

ما الإقناع وكيف تم تحصيله في الخطاب القرآني؟

ما أهم الآليات التي يعتمد عليها الخطاب القرآني لتحقيق الإقناع؟

ما أهم الآليات الإقناعية الموظفة في خطابات "إبراهيم - عليه السلام"؟

ما هي الإستراتيجية الخطابية التي اتبعها "إبراهيم - عليه السلام" في خطاباته، سواء مع أبيه أو قومه أو مع النمرود من أجل تحقيق الإقناع؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث، من حيث وصف الظواهر الحجاجية في الخطاب القرآني، وتحليل الشواهد والأمثلة وفق الإجراءات الحجاجية الإقناعية، ولأن المصطلحات التي تحمل معاني الإقناع كثيرة، ومتنوعة وجدناها في كتب التفاسير متداخلة مترابطة أعانتنا كثيرا في هذا البحث، والذي قسمناه إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة دمجناها بأهم النتائج المتوصل إليها.

تناولنا في الفصل الأول الخطاب القرآني، ممهدين بالتعريف بالخطاب باعتباره خطاب تقرير وجدل يعتمد على معطيات الإيمان بالتوحيد والغيب، فهو خطاب مؤسس على يقينية الاستمرار والبقاء، باعتبار آياته التي جاءت مخاطبة ومواجهة لروح المتلقي وعقله وضميره، ثم تطرقنا إلى أهم خصائص ومميزات الخطاب القرآني، باعتبارها خطاب إلهي، ينفرد عن غيره من الخطابات في جميع مستوياته الصوتية والمعجمية والتركييبية، والإيقاعية والتداولية، فهو خطاب حامل لرسالة سماوية بلسان عربي مبين، لينتقل البحث إلى عنصر آخر نبين فيه بلاغة الخطاب، كون الخطاب البرهاني يهتم

بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية، ووسائل للإقناع والبرهان، وختمنا الفصل بالإشارة إلى القصص القرآني باعتبارها وسيلة القرآن لتثبيت الدعوة .

أما الفصل الثاني، فقد تضمن مفهوم الإقناع وآلياته، إذ كان لابد من الوقوف على أهم التعريفات التي أوردها أقطاب البلاغة العربية في مؤلفاتهم كالملاحظ وحازم القرطاجني و الخوارزمي، فالإقناع قد يكون بالترغيب، كما يكون بالترهيب، لأن الهدف واحد هو تغيير سلوك المتلقي، بتغيير أفكاره ومعتقداته، كما تطرقنا إلى مفهوم الحجاج وربطناه بالإقناع لتقارب المفهومين، باعتبار الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، لينتقل البحث إلى السلام الحجاجية والتي تعد من منطلقات النظرية الحجاجية واللسانية، فهي نظرية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي تتوفر عليها المتكلم قصد توجيه خطابه، وجهة تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم ذكرنا آليات الإقناع باعتبار هذا الأخير لا يتحقق إلا بوسائل وأساليب مختلفة يعتمد عليها المتكلم، وهذه الآليات تتنوع من بلاغية، لغوية، ومنطقية.

بينما الفصل الثالث تناولنا فيه إستراتيجية الإقناع في خطابات "إبراهيم- عليه السلام-" متتبعين ذلك بالأدلة والبراهين، إذ افتتحناه، بالحديث عن حقيقة العلاقة بين "آزر" و "إبراهيم - عليه السلام-"، فأشرنا إلى أن من العلماء من اعتبر آزر هو عم "إبراهيم - عليه السلام-" وليس الأب الصلبي له، و ذلك بالإستناد إلى الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، ووقفنا على المحاورة التي تمت بينهما، إذ خاطبه- عليه السلام- بلهجة كلها أدب ورقة، مبينا ذلك بظلال عبادة الأصنام مستهلا كلامه في كل مرة بقوله " ياأبت " بأسلوب التوسل والاستعطاف، حتى يلين قلب أباه، ويعود به من الشرك الذي هو عليه .

أما خطابه مع قومه فقد لجأ فيه إلى عدة سبل، ذلك أنه لقي قلوبا جاحدة، وعقولا متحجرة، لا ترضخ ولا تقر بالحق بسهولة، إذ كان يغير في خطابه كل مرة ، فاستدرجهم لقبول الإرشاد بالدليل

والحجة، وهدم معتقدتهم الذي لا حجة لهم في التمسك به، إلاّ التقليد الأعمى لآبائهم، إذ لجأ إلى مسائرتهم في زعمهم، ليصل بهم إلى نتيجة تظهر ظلالهم، " فإبراهيم - عليه السلام - " أراد أن يصل بقومه إلى التوحيد، فبرهن على عدم استحقاق تلك الآلهة للعبادة فقال ﴿ لا أحب الآفلين ﴾؛ أي لا أعبد الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان فقد أثبت - عليه السلام - صحة مذهبه بالتدليل، وهدم مذهب قومه المشركين، إلا أن تصميمهم على الكفر كان أكبر من أن يدعنا للحق، فالقرآن الكريم قد أثبت في غير موضع عجزهم عن المحاججة ولجوءهم إلى القوة.

أما خطابه مع "النمرود" فقد جاء في شكل مناظرة، دحر فيها ادعاء النمرود القدرة على الإحياء، والإماتة، فأفحمه بعجزه عن الإتيان بالشمس من المغرب، وهكذا كان في كل مرة ييكت هؤلاء الجاحدين بالدليل والحجة، وأخيرا خاتمة تضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج.

أما مصادر البحث، فقد كانت كثيرة ومتنوعة؛ ورغم هذا الغنى في المراجع، إلا أن البحث اعترضته بعض الصعوبات، من بينها صعوبة التعامل مع المادة العلمية لوفرثها وتشعبها.

وفي الختام لا ننسى أن نوجه الشكر الجزيل، والامتنان الخالص، لأستاذنا المشرف الدكتور " بن فريحة الجيلالي " الذي كان له الفضل الكبير في النصح والإرشاد، وتوجيهنا إلى هذا النوع من البحوث والدراسات.

المركز الجامعي

في: 2016/05/20

ضبيب رشيدة

بردوس فطيمة



تمهيد :

لاشك أنّ مقارنة النص الأدبي تحمل من المزالق، ما قد يحول دون استنطاق الأوجه الحقيقية لكوامن النص، باعتبار كونه لا يعدو أن يكون سوى مزيجاً من اللغة، التي يُوضعها الناص بطريقة هادفة، تحت كفالة الظروف، لذلك ظهر توجه جديد ينظر إلى النص باعتباره فعالية تواصلية تتكئ على اللغة، ولكن تتجاوزها إلى أطراف الفعالية الإنتاجية التواصلية المختلفة، إذ برز عن هذا التوجه مصطلح جديد بديل للنص هو مصطلح الخطاب.

فالخطاب و إن كان لغة، إلا أنه يتجاوز اللغة، ذلك أن عملية تحليل طرق إنتاج الدلالة فيه لا بد من مراعاة أظرف غير لغوية معلنة، على خلاف وجهة النظر التي تميز النص على أنه بنية مغلقة.⁽¹⁾

والخطاب كما يقرر " ميشال فوكو " « هو تلك الشبكة المعتمدة في العلاقات الاجتماعية و السياسية والثقافية، التي أعيد إدماجها في عمليات تحليل الخطاب، الذي يحمل بعداً سلطوياً من المتكلم، بقصد التأثير في المتلقي مستغلاً في ذلك الظروف الخارج لغوية، ومعتمداً كهذا كفيلاً بأن يبقى للغة حيويتها، المتمثلة في السياقات التي أفرزتها، وهي الوجه الآخر لما نسميه بـ (تحيين) النص، لأن الخطاب في مفهومه الجمل المبسط، وضع للغة موضع الفعل، ومن ثمّ لا يكون النص كما يعتمد بعض النقاد، إلا خطاباً مثبتاً بواسطة الكتابة، و هو تسمير تنجز عنه، ولا ريب مخاطر نصيب اللب المتمثل في الدلالة»⁽²⁾؛ أي أن الخطاب ما هو إلا انعكاس لشبكة من العلاقات الاجتماعية، و السياسية و الثقافية، التي يتم تحليل هذا الخطاب فيها، من خلال إعادة إدماجها فيكون للمتكلم

¹- ينظر: نوري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1 (2009)،

ص: 14.

²- المرجع نفسه، ص: 15.

السلطة الكاملة، التي تجعله يؤثر في المتلقي، باستغلال ظروف خارج لغوية، تجعله كفيلاً بأن يحافظ للغة على حيويتها، من خلال السياقات التي أفرزتها.

إنّ تنامي الدراسات و البحوث المتحورة حول الخطاب، وجدية النتائج التي توصلت إليها ساهمت في تناول كافة الخطابات بالدراسة، من ضمنها الخطاب القرآني، الذي يعد سلطة فنية من حيث تساميه الأدبي، المباين للمألوف من الأجناس الأدبية العربية، فهو سلطة روحية بتصديده تقريراً، وجدلاً، لتخرجاتهم الاعتقادية، ذلك لاحتوائه المجال الفكري و الروحي الذي تصدر عنه ذهنية الكفر، من خلال اعتماده على معطيات الإيمان بالتوحيد و الغيب⁽¹⁾.

فالخطاب القرآني تنزّل من المتلقي منزلة حضورية فاعلة، إذا أنّه خصّ المتلقي بعناية بعيدة عن روح الاستدراج، و اغتصاب القناعة، لذلك واجهت الآيات روح المتلقي و عقله و ضميره وحملته إلى عقيدتها التوحيدية بتوظيف المقول الفكري و الشعوري، باعتبار أن الدعوة القرآنية لا تُحَاتل في تقديم حججها، ولا تُمارى في بسطها، ذلك أنّها توظف الحوار الفكري، في الرهان على منطقيتها و تؤصل مقولها بأسباب الإقناع⁽²⁾.

وعليه فالخطاب القرآني «كينونة قد تمثّل على أنّها المصدر العلوي عينه، الذي يباشر ضمير المتلقي برسالة متكاملة، لا تُغفل منزعا من منازع الحياة و الوجود، تحريرا للفرد و الجماعة من نير الأسطورة واللامعقول الخرافي، وربطاً للنفوس بالخالق، وبعوالم الغيب المسوغة بآمالها لتجربة هذا الوجود الأرضي»⁽³⁾.

¹- ينظر: سليمان عشراطي، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة

المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د. ط)، (1998)، ص: 05.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص: 06.

³- المرجع نفسه، ص: 06.

وللخطاب القرآني حضور جمالي ومرجعية روحية، تنفذت في الوجدان الإسلامي فاكتملت كينونة، تجاوزت إطار المقولة الإلهية، حتى يمكن لها من أن تتماهى في فكر العديد من التيارات الإسلامية، وحتى تُظهر الخصوصية التي يمتاز بها هذا الخطاب، و تبقى الإشكالية الإعجازية أسُّ ديني، يمس الناحية الاعتقادية، انطلاقاً من أنّ القرآن الكريم قد أفرزها في أكثر من آية دليلاً على مصدرته الإلهية، المنزهة عما كانوا يصفون، ولها بعدها الأدبي البياني، حينما يتعلق الأمر باستكناه حقيقة هذا البيان و تبيين مقوماته البلاغية التعبيرية⁽¹⁾.

فالقرآن الكريم خطاب للعقل، لذلك كان لاستعمال الأدلة والبراهين منحا كبيرا في التجاوب معه، وتأكيدا لتفاعل المؤمنين مع خطابه، حيث تطمئن قلوبهم بالفطرة لهذا القرآن قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد، الآية 28]، وعليه فالإيمان مشروط في فهم النص القرآني، باعتباره وحيا وخطابا إلهيا « هذا الإيمان لا يحصل إلا من خلال الخطاب القرآني بما هو إشارة إلى التجلي والظهور، ورسم أفق العالم الذي تفتحه»⁽²⁾.

لقد راع الخطاب القرآني تفاوت درجات المخاطبين في الأفهام، فكان خطابه مؤسسا على جملة من المقاصد، التي تحدد هدفه و غايته، و يتضح من ذلك أن كل نص موجه إلى متلق معين، لا بد من أن يسعى إلى إقناعه بفعل ما، من أجل الاستجابة لهذا الفعل، وتسمى هذه العملية فعلا استجابيا، أو فعل التأثير في المخاطب، و هذا المخاطب لن يستجيب إلا إذا تمركز في ذهنه فعل

¹ - ينظر: سليمان عشراطي، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص: 08.

² - ناصر عمارة، اللغة و التأويل، مقاربات الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 (1428هـ، 2007م)، ص: 171.

الإقناع⁽¹⁾، باعتبار أن الإقناع إستراتيجية تُستعمل من أجل تحقيق أهداف الخطاب ومقاصده وهي تتفاوت تبعاً لتفاوت حقوله و مجالاته⁽²⁾.

لذلك عمل القرآن الكريم باعتباره نصاً مقدساً، على بث كل الوسائل الهامة في آياته ، لجعله خطاباً إقناعياً بامتياز، وجعل المتلقي يُقبل عليه، باعتباره رسالة إقناعية تخاطب العقل البشري من خلال استراتيجيات محددة، وأساليب إقناعية.

¹- ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى السياق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1421هـ، 2000)، ص: 71.

²- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ط1، (2004م)، ص: 444، 445 .

الخطاب في اللغة و الاصطلاح:

لغة: ورد في " لسان العرب " في مادة (خ.ط.ب.): « أن الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخطاباً، وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة، تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن»⁽¹⁾.

ويرى "الزمخشري" أنه يجوز أن يراد بمعنى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [ص، الآية 20]، « القصد الذي ليس فيه اختصار محل و إشباع محل»⁽²⁾.

وترددت « مادة (خ.ط.ب) في القرآن الكريم اثني عشر مرة، موزعة على اثني عشرة سورة محملة بمعان ثلاث، كل منها يكمل الآخر و يتممه، فمَرَّةٌ حمل اللفظ معنى "التوجه بالحديث" في قوله تعالى: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمان لما يملكون منه خطاباً﴾ [النبأ، الآية 37].

وفي مرة ثانية، حمل اللفظ معنى: التفضيل للكلام والمعاني في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [ص، الآية 20].

وفي مرة ثالثة، حمل اللفظ معنى "الجدال والحجاج" في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [ص، الآية 23] «⁽³⁾.

¹ - ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب المحيط، مادة (خ.ط.ب.)، دار صادر، بيروت، ط1، (2000م)، ص: 98.

² - الزمخشري محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق و تعليق، محمد مرسي عامر، دار المصحف ، القاهرة،(د.ط.)، (د.ت.)، ج5، ص: 125.

³ - وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، (1997)، ص: 24.

ونورد بعض صيغ مادة (خ.ط.ب) في القرآن الكريم في بعض الآيات التي تضمنتها
و هي كالاتي:

﴿خَاطَبَهُمُ: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
[سورة الفرقان، الآية 63].

﴿مُخَاطَبِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾﴾ [المؤمنون، الآية 27].

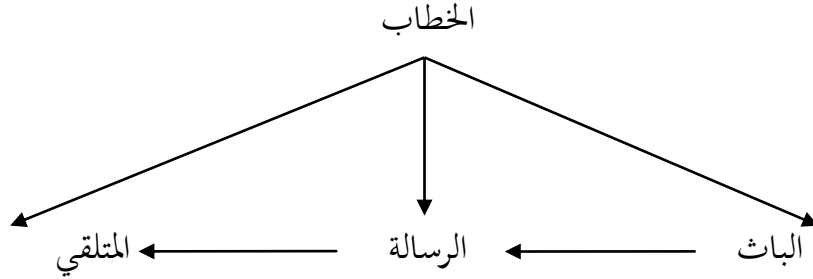
﴿خَطْبُكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾﴾ [طه، الآية 95].

﴿الْخِطَابُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾﴾ [ص، الآية 20].

﴿خِطَابًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾﴾
[النبأ، الآية 37].

ومما سبق يتبين أن معاني لفظة "خِطَاب" في الموروث اللغوي العربي تدور حول الكلام و
الجدال، و الحجاج و المحاوره، وكلها مصطلحات يشرط في تحقيقها، و تجسيدها وجود طرفين اثنين
هما: الباث والمتلقي، وتشترط ضمنيا، وجود رسالة يحملها هذا الخطاب، ومن ثم يصبح تحقق

الخطاب مرهون بتوفر هذه العناصر، و يمكن أن تمثل لها بالمخطط الآتي:



أما مصطلح خطاب *disconrs* المأخوذ من اللاتينية *disconrs sus* ومعناه "الركض هنا وهناك"، فليس أصلا مباشرا لما هو مصطلح عليه بالخطاب، إلا أن الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب، أو ما اشتق منه من معان منذ القرن السابع عشر، فقد دل المصطلح على معنى طريق صديقي، ثم المحادثة والتواصل، كما دلّ على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفوية أم مكتوبة عن فكرة ما⁽¹⁾.

إنّ مصطلح الخطاب كما تتفق حول ذلك معظم التعريفات، وحدة لغوية أشمل من الجملة فالخطاب تركيب من الجمل المنظومة، طبقا لنسق مخصوص من التأليف.

إنه نظام من الملفوظات، والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب، يتحدد أصلا من اشتغال اللسانيين على الكلام، بوصفه مظهرا لفظيا خاصا بالفرد، وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة التي يعتمدون عليها، بوصفها قاعدة معيارية عامة، فمصدره فردي، وهدفه الإفهام والتأثير، وهذه الخصيصة تقرر المصدر الفردي للخطاب كونه نتاجا يلفظه الفرد، ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالة واضحة المرمى، و مؤثرة في المتلقي.

¹ - ينظر: مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دارا لخدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر ط1، (1432هـ، 2010)، ص: 11.

إن متلقي الخطاب لا بد أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، و يمثل الرسالة الدلالية التي تكمن فيه، كي تكتمل دائرة الاتصال، وهنا بدأت تحضر أيضا مكونات أخرى، من عناصر نظرية الاتصال، كالشفرة والسياق، لكي ينفذ قصد القائل إلى المتلقي⁽¹⁾.

يعد خطابا كل ملفوظ، مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات، يفاد من التعريف ثلاث أمور:

- أولا: تحييد الثنائية التقابلية جملة /خطاب، حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة.

- ثانيا: اعتماد التواصلية معيارا للتخاطبية.

- ثالثا: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب، حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة، أو مركب أو شبه الجملة، كما سماه "المتوكل"، كما هو الشأن في السلسلة الجمالية (04) و الجملة (05) و الحوار (6.أ.ب) و المثالين: (7.أ.ب):

(4) زارني إبراهيم اليوم، طلب مني مبلغا ماليا، فأعرتة إياه، و وعدني برده في أقرب الآجال.

(5) حضر درس اليوم كل الطلبة.

(6) أ - ماذا طلب منك إبراهيم؟

ب - مبلغا ماليا.

(7) أ - صه؟

ب - هيهات⁽²⁾.

¹ - ينظر: مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 12، 13.

² - ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ط1 (1431)

هـ، (2010م)، ص: 24.

والخطاب في الدراسات النقدية المعاصرة، وحدة لغوية أشمل من الجملة، فهو تركيب من الجمل المنظومة، طبقا لنسق مخصوص من التأليف، ويذكر "سعيد يقطين" أن "إميل بنفست" من أهم النظار الذين تعاملوا مع هذا المصطلح تعريفا وتمثيلا، حيث عرفه من منظور مختلف، كان له أثر بالغ في الدراسات الأدبية، التي تقوم على دعائم لسانية وذلك في قوله: «الملفوظ منظورا إليه من وجهة آلياته، وعمليات اشتغاله في التواصل، ومعنى آخر هو كل تلفظ يفرض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني، بطريقة ما»⁽¹⁾.

كما نجد "أوليفي روبول" يفرع الخطاب، إلى معنى شائع، يكون فيه الخطاب منسجما مع الجمل المنظومة جماهيريا، من طرف الشخص نفسه عن موضوع معطى، وآخر لساني مختزل يكون الخطاب فيه عبارة عن متوالية من الجمل، المشكلة لرسالة، ومعنى ثالث لساني موسع، يكون فيه الخطاب مجموع الخطابات المرسله، من طرف نفس الفرد، أو من طرف نفس الجماعة الاجتماعية، التي تعرض طبائع لسانية مشتركة⁽²⁾.

وتعرض "سارة ميلز" الخطاب بمعناه الواسع أن «كل تفوه يفترض جدلا وأن هناك متكلما سامعا، وفي داخل المتكلم هناك القصد الذي يعني التأثير في الآخرين، بطريقة ما....، لكن الخطاب كذلك هو الكتابة التي تعيد صياغة الخطاب الشفوي، أو التي تستعيد أسلوبه التعبيري وأغراضه مثل: المراسلات و المذكرات و المسرحيات، و الأعمال التعليمية (الوعظية didactic) بعبارة موجزة، كل الأنواع التي ينعاها المرء نفسه متحدثا و ينظمها في مقولة شخصية»⁽³⁾؛ أي أن الخطاب يمكن أن يكون شفويا، ويتطلب ذلك وجود متكلم و سامع، ويكون الغرض منه التأثير في الآخرين بأي

¹- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي وأبعاده النصية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العددان (48، 49) (شباط، 1989)، ص: 17.

²- ينظر: مفلح عبد الله، الخطاب القرآني و قضايا التأويل، ص: 11، 12.

³- المرجع نفسه، ص: 12.

طريقة كانت، كما يمكن أن يكون خطابا مكتوبا، باعتباره إعادة تجسيد وصياغة للخطاب الشفوي، و نظمه في شكل مقولة شخصية.

أنواع الخطاب:

تعدد أنواع الخطاب في الوسط الثقافي العربي، و تختلف مرجعيته و مجالاته وقد قسم هذا الخطاب إلى ثلاثة أنواع وهي كما يلي:

- الخطاب الإيصالي: له عدة نماذج منها السياسية، الإرشادية، الوعظية، القضائية، الإقناعية الاجتماعية، و الإعلامية... الخ.

- الخطاب الإبداعي، الشعري: له نماذج متعددة، غير أنه يتميز عن الخطاب القرآني في أنه خطاب يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية.

- الخطاب القرآني: هو خطاب إلهي مطلق ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، الآية 11]، وكتب الله على نفسه حفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر، الآية 9].

كما قسم الجابري الخطاب إلى أربعة أصناف وهي كما يلي: (1)

- الخطاب النهضوي: حيث يدور حول قضية النهضة عامة، والتحديد الفكري والثقافي خاصة.

- الخطاب السياسي: يتمحور حول العلمانية وما يرتبط بها، وكذلك الديمقراطية وإشكالياتها.

¹- ينظر: محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5 (1994م)، ص: 16.

- الخطاب القومي: ركز فيه على التلازم الضروري الإشكالي، الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة، وبينهما وتحرير فلسطين من جهة ثانية .

- الخطاب الفلسفي: يتمثل في صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث، والمعاصر وإشكالية الأصالة والمعاصرة.

وهناك تقسيم آخر للخطاب تقدم به "فوكو"، بناه على أساس فعالية الخطاب، واستمراره وتأثيره، فذكر أن هناك نوعين من الخطابات، يمكن تسمية النوع الأول، بالخطابات المتغيرة كالتالي تقال يوميا، وينتهي أمرها بانتهاء الفعل الناطق بها، أما النوع الثاني فهو الخطابات الثابتة، كالتالي قيلت وتقال وستقال، بصرف النظر عن صياغتها، حتى يعاد تناولها والحديث عنها، وتظل أصلا لأنواع جديدة من فعل الكلام، كالنصوص الدينية، والأدبية والقانونية، والعلمية إلى حد ما (1).

تعريف الخطاب القرآني:

إن النص القرآني بحكم طابعه الإلهي، يتأبى إلى حد كبير على أن يضاء بعدة إجرائية وضعية، فهو منزّل تنتظمه هيئة خطابية امتازت بتساوق استثنائي بين التنظيمية والأدائية (2)، وعليه « فالخطاب القرآني يعد سلطة فنية، من حيث تساميه الأدبي المبين للمألوف من الأجناس الأدبية العربية، وهو سلطة روحية أيضا بتصديه تقريرا، وجدلا لتخرجاتهم الإعتقادية، والمعرفية الشركية واحتوائه المجال الفكري والروحي، الذي تصدر عنه ذهنية الكفر، وهذا باعتماد معطى الإيمان بالتوحيد، وبالغيب، واقعا فكريا مائلا للحس، ممازجا للوجدان، مؤسسا ليقينية الاستمرار، والبقاء التي تحققها مسلمة البعث الأخروي كما رسخها القرآن... » (3).

¹- ينظر: مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 14.

²- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ص: 05.

³- المرجع نفسه، ص: 05.

بمعنى أن الخطاب القرآني هو خطاب تقرير وجدل، يعتمد على معطيات الإيمان بالتوحيد والغيب، فهو خطاب مؤسس على يقينية الاستمرار والبقاء، باعتبار آياته جاءت مخاطبة لروح المتلقي وعقله وضميره.

وقد ميز "شكري عزيز ماضي" بين الخطاب القرآني، والخطابات الأخرى، من حيث شكله وبؤرته وحدود مصدريته بقوله « بأنه نص مكتوب ليس له شكل محدود، ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة، ليست له بؤرة مركزية وهو بلا بداية أو نهاية، يقبل تأويلات لا حصر لها، ذوات طاقة رمزية مطلقة الإحالة المرجعية في النص القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد»⁽¹⁾، فلا يمكن المقارنة بين الخطاب القرآني، والخطابات الأخرى سواء كانت أدبية، أو علمية سياسية، أو تاريخية، ولا يمكن أن يقاس بأي كلام آخر، ذلك أنه خطاب لا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة، كما أنه يحظى بتأويلات لا نهاية لها من حيث المصدرية، فالهيته تجعله يختلف عن الخطابات الإنسانية الأخرى .

خصائص الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب إلهي، ينفرد عن غيره من الخطابات في جميع مستوياته الصوتية والمعجمية، والتركيبية والإيقاعية والتداولية، إذ أنه خطاب فاعل، استغرق بثه زمنا طويلا، حتى تم واكتمل، وكان جمعه وتدوينه من المصادر المتفرقة، بمثابة التحديد الأخير لبروزه بوصفه كتاب وهكذا انتقل الخطاب المقدس من فضائه الشفاهي، إلى فضاء آخر مكتسبا دلالاته الموحدة⁽²⁾ وأهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته الدينية، فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد - عليه الصلاة والسلام-، إذ يحمل كل الصفات، التي تضمن ديمومته واستمرارته، على خلاف الأنواع الأخرى من الخطابات، التي تتماشى والنظريات الحديثة، إذ تلجأ إلى تطبيق بعض الإجراءات التي تجرد الخطاب من صاحبه،

¹ - شكري عزيز ماضي، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، (1997م) ص:174.

² - ينظر: وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، ص:15.

بمجرد الانتهاء من انجاز عمله وخروجه إلى النور وتسلمه من قبل المتلقين حتى يتم تلقيه في أفق أوسع وأرحب يسمح بكثرة التأويلات.

إن انفراد القرآن الكريم بطريقة سوية في تأدية المعاني، وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافر بين ألفاظها، ولا بين حروفها، أضفى ميزة خاصة على أسلوبه « فلهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية وسوانحه العقلية وتأثيره الخاص في النفوس السوية وفي النفوس الجاحجة أيضاً، وله جمال لا يوصف، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبر عنه ألسنة المتكلمين، وأقلام الكتّابين»⁽¹⁾، فقد جمع القرآن براعة النظم وبلاغة التعبير وحسن السبك، ورونق السحر والبيان، فلا يضاهيه بذلك خطاب، ومهما حاولنا وصف خطابه يعجز التعبير عن ذلك، وتقتصر الألفاظ أمامه .

ويذكر "الشافعي" آيات بيّنت من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء الآية 192، 195] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد، الآية 37]، وقوله تعالى جل في علاه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر، الآية 28]، فذكر أن الله سبحانه وتعالى، في هذه الآيات أقام حجته بأنه كتاب عربي، ثم أكد ذلك بأن نفي عنه جل ثناءه كل لسان غير لسان العرب، في آيتين من كتابه فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل، الآية 103]، ويضيف عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت، الآية 14]، ثم أتبع ذلك بتقريره لهذا المبدأ

¹ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، (1419هـ، 1999م)، ج1، ص: 327.

حيث يقول: « أنه لا يعلم من إيضاح جهل علم الكتابة أحد جهل معه لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقتها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبه التي دخلت على جهل لسانه »⁽¹⁾؛ لا يفهم القرآن الكريم حق فهمه، إلا عالم باللسان العربي، وذلك لتعدد دلالاته، ومعانيه.

فالخطاب القرآني حامل لرسالة سماوية، بلسان عربي مبين، من حيث أن ألفاظه مستعملة في معانيها اللغوية، وجارية على قوانينه الوضعية والإستعمالية والدلالية، المعروفة عندهم حتى أن "الشاطبي" قرر « أن الشريعة عربية اللسان، لا مدخل فيها للألسن الأعجمية، مما يوجب على أهل العلم أن يكون فهمهم خطاباً من هذا الطريق: من أراد تفهمه؛ فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة، فالقرآن نزل بلسان العرب، فطلب فهمه يجب أن يكون طبقاً للغة العرب في قواعد الدلالية»⁽²⁾، لزوم فهم النص القرآني باللسان العربي، لأنه الوحيد الذي يتيح فهمه على النحو السليم، الذي يحفظ له اعجازه، فلا يفهم الشريعة العربية، إلا من كان فاهماً للغة العربية حق الفهم « فالقرآن وحي الإسلام، والإسلام دين الله المفروض، ولن يتأتى معرفة أصوله وأساسه إلا إذا فهم القرآن بلغته »⁽³⁾.

ومن خصائصه أيضاً حسن التصوير، إذ أنّ الخطاب القرآني يظهر المعاني المعقولة، في صور محسنة مستوحاة من الواقع المشاهد، إذ تكون « مؤتلفة ائتلافًا عجيبًا في قوالب كلية متحركة تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنائيات، المسبوكة سببًا فريدًا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسنه

¹ - ينظر: مفلح عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 18، 19.

² - محمد أبو سالم أبو العاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر، القاهرة ط1، (1426هـ، 2005)، ج1، ص: 34.

³ - محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص: 323.

ومشاعره، فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارعة البديعة في عناصرها، وائتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها»⁽¹⁾.

فالتصوير القرآني يحمل القارئ أو السامع الفاهم إلى الشعور بتلك الصور، التي يوظفها وكأنها تمثل أمامه في الواقع، فكثيرا ما ينقل التصوير القرآني الحوار، « ويحكي نص القول بعثا للحياة في الأسلوب، واستمع إلى ألوان الحوار في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف، الآية 37، 39] والحوار كما ترى ينقل الحقيقة أمامك مصورة»⁽²⁾.

اصطفى الله - سبحانه وتعالى - من ألفاظ اللغة العربية أفصحها، وأبلغها تعبيرا وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام وألذها للآذان، وأقواها تأثيرا وأسرا للقلوب، وأقدرها تأدية للمعاني المنشودة، فركبها تركيبا محكما لا يضاهيه تركيب « لا يدانيه في نسجه كلام البشر من قريب ولا من بعيد، وذلك لما يكمن في ألفاظه من الإيحاءات، التي تعبر إلى خلجات النفس وتقتحم شغاف القلوب وما يكون في تركيبه من ألفة عجيبة، وانسجام وثيق بين هذه الألفاظ مهما تقاربت مخارج حروفها أو تباعدت، فقد جاء رصف المباني وفق رصف المعاني، فالتقى البهران على أمر قدر، فاستساغته جميع القبائل على اختلاف لهجاتها قراءة وسماعا»⁽³⁾.

¹ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص: 332، 334.

² أحمد بن عبد الله البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، (د.ط.)، (2005)، ج1، ص: 186.

³ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ج1، ص: 332.

بالإضافة لذلك فإن نظم القرآن الكريم له خصائص، لم تعرف قبل نزوله « لا تكمن في الكلمات المفردة، التي توضع لها اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات، ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة، والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز، فمن هذا يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان»⁽¹⁾، فالمراد بنظم القرآن هو ذلك الإلتلاف الحاصل بين جميع مقاطعه، بنظام لغوي متكامل النسيج « ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن، وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكته اتساقا عجيبا، وائتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوئ النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومثثور»⁽²⁾.

وقد ذكر "البدوي" في كتابه من بلاغة القرآن، أن الأسلوب القرآني « قد يروعك ويبهرك فإذا أخذت مفرداته كل مفرد على حدة، فقد لا تجد فيه كبير روعة، ولا قوة أسر، ولكن عند ما انتظمت هذه المفردات في سلك فلاءمت ما قبلها، وارتبطت بما بعدها، واكتسبت جمالا وجلالا وإن شئت فانظر قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود، الآية 44]... وهنا يحق لنا أن نسأل عن فضل الكلمة في موضعها، وتبين جمال اختيارها، وندرك ما لها من الميزة على صاحبها وإذا سلطنا هذا المسلك في الآية الكريمة، رأينا الآية تصور ما حدث بعد الطوفان، من ابتلاع الأرض ماءها، ونقاء السماء بعد أن كانت تغطي بسحبها»³، والمعنى أنه خطاب الله - سبحانه وتعالى - يختلف عن غيره من الكلام، والخطابات الأخرى، في كونه معجز في نظمه بألفاظه ومعانيه، وهذا سرُّ بيانه.

¹ - الجرجاني أبي بكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

(ط)، (1981م)، ص: 300.

² - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه، ط3، (د.ت)، ج2 ص: 309.

³ - أحمد بن عبد الله البدوي، من بلاغة القرآن، ج1، ص: 49.

ونظرا للخصوصية التي يتسم بها الخطاب القرآني، فإنه خطاب لا يترجم، وإنما تشرح مدلولاته بكل اللغات، ولكن يستحيل أن ينقل إلى أي لسان آخر، نقلا حرفيا « والذين على بصر باللغات، يعرفون أن الترجمة الحرفية بالمعنى المذكور، لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه، فإن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى»⁽¹⁾، فالترجمة الحرفية تحول دون المحافظة على تلك السمة الاعجازية، التي تميزه عن ما سواه من الخطابات « والتعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللغة، ما لا يمكن أن يحل محله تعبير آخر بلغة أخرى، فإن الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلاً عن التراكيب، والقرآن الكريم في قمة العربية فصاحة وبلاغة، وله من خواص التراكيب وأسرار الأساليب ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه ما لا يستقل بأدائه لسان»⁽²⁾، فنزول القرآن بلسان عربي، يرجع لحكمة لا يعلمها إلا الله، ولا يمكن لأي لسان أن ينال هذا الشرف الذي حظي به اللسان العربي.

نخلص مما سبق إلى أن اتسام الخطاب القرآني بهذه الخصائص المميزة له، تجعل منه خطابا خاصا منزها من مرسل خاص-الله سبحانه وتعالى-، وهذا ما يفرض التعامل معه بحذر، وفق آليات مخصوصة تتناسب وخصوصيته.

مستويات الخطاب القرآني:

إنَّ الخطاب القرآني ليس خطابا موجهًا إلى الصفوة من الناس، كي يجيز لهم أن يحتكروا الفهم والقراءة والتأويل، كما هو الحال في الديانتين اليهودية والمسيحية، إذ تحتكر طبقة الكهنة فهم وتفسير وتأويل الكتب المقدسة، بل هو خطاب مفتوح تتعدى مستوياته، تبعا لتعدد مستويات القراءة وتباينها⁽³⁾، وقد أدرك العلماء خاصية الخطاب القرآني، وحددوا على ضوءها أنواع المتلقين ومستويات القراءة، وقد ذكر "نصر حامد" أن "ابن رشد" أفرد لهذه القضية مساحة معتبرة من مدونته

¹ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ج1، ص: 324.

² المرجع نفسه، ج1، ص: 325.

³ ينظر أبو زيد نصر حامد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (2000م)، ص: 60، 61.

الموسومة ب: "فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" حيث حدد أصناف المتعاملين مع الخطاب القرآني، وقسمهم إلى صنفين اثنين، بحسب المعرفة العامة والعلماء، ومن حيث تلقي الخطاب القرآني إلى ثلاثة أصناف، وهم أهل الخطابة، وأهل الجدل، والبرهان كما ميز "ابن رشد" بين العلماء والعامة، وذلك من حيث المعرفة ورأى أنه تميز على مستوى المعرفة فقط.

والخلاف بين معارف العامة، ومعارف العلماء، هو اختلاف في التفاصيل، وبالتالي فالاختلاف في الدرجة لا في النوع، ذلك أن العامة يقتصرون على ما هو مدرك بالمعرفة المبنية على الحدس، لذلك يخاطبهم الشرع بضرب المثل وتصوير الألوهية، والقضايا الأخروية تصويراً حسيماً، مستشهداً بما هو مشاهد عندهم، وأما العلماء فإنهم يزيدون على ما يدرك من الأشياء بالحدس، وما يدرك بالبرهان؛ أي على ما يتوصلون إليه عن طريق أنواع الاستدلال، التي استعملوها لاستخراج المجهول من المعلوم، لذلك كانت معارف العلماء أوسع من معارف الجمهور⁽¹⁾.

أما من حيث مستوى تلقي الخطاب القرآني فقد قسم "ابن رشد" المتلقي إلى ثلاثة أصناف حسب مستوى القراء، وتوافقهم وتباينهم الفكري، وكذلك حسب تحصيلهم للقدرة المعرفية التحليلية، ومدى امتلاكهم لأدوات الاستنباط، وحسن استخدامها، فالصنف الأول حسب رأيه مكلف بالأدلة الخطائية، والصنف الثاني متحمس للأدلة الجدلية، أما الصنف الأخير يكون مؤمناً بالأدلة البرهانية .

أما عن قضية ثنائية الظاهر والباطن، نجد "ابن رشد" قد تحدث عنها في النص القرآني وأرجع أسباب ورودها إلى أمرين اثنين: أحدهما اختلاف نظرة الناس، وتبيان قرائحهم في التصديق والآخر، العادات وعدم أسباب التعلم⁽²⁾.

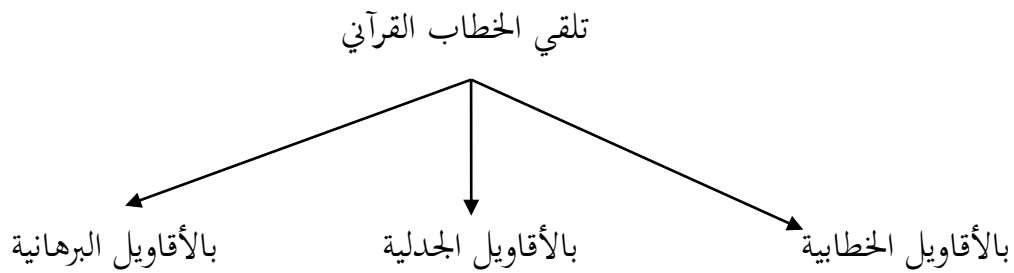
ويبين "ابن رشد" بقوله: «وأما الأشياء التي لحقائقها لا تعلم إلا بالبرهان، فقد تطف الله فيها لعباده الذين لا سبيل لهم إلا البرهان، إما من قبل فطرهم، وإما من قبل عاداتهم، وإما من قبل

¹ - ينظر: مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 22، 23.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 24.

عدمهم أسباب التعلم، بأن ضرب لهم أمثالها وأشباهاها، ودعاهم إلى تصديق تلك الأمثال... فإن الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والمعاني هي تلك المعاني التي لا تتجلى إلا بالبرهان⁽¹⁾؛ أي أن الله ضرب الأمثال، والأشباة لتلك الأشياء المخفية، التي لا تعلم، إلا بالبرهان حتى يتم تصديقها من قبل عباده.

وفيما يلي تمثيل لهذه الأصناف الثلاثة :



وهذا التقسيم، هو تقسيم ثلاثي معرفي، شرعي وديني، إذ هو قراءة يقدمها "ابن رشد" للخطاب القرآني المتمثل في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل، الآية 125]، حيث تكون الحكمة هي البرهان، والموعظة الحسنة، بالأدلة الخطابية والأدلة الجدلية التي يشير إليها الفعل جادلهم.

"فابن رشد" يرجع سر هذا التباين، والتعدد في تلقي الخطاب القرآني، إلى حرص الخطاب ذاته على تأكيد اختلاف طبائع الناس، وتعدد اتجاه المعرفة⁽²⁾، وقد أوضح مفلح عبد الله أن "ابن رشد" ذكر في هذا السياق « وذلك أن طبائع الناس متفاضلة، فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالأقويل الجدلية تصديق صاحب البرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ومنهم من

¹ - مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 24.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 24، 25.

يصدق بالأقاويل الخطائية، كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية»⁽¹⁾، فاختلاف الناس في طرائق تصديق الأقاويل، فالبعض يصدق بالبرهان، والبعض يصدق بالأقاويل الجدلية .

والتعويل على طبائع الناس، لتفسير هذه القضية هو أمر مقبول، ولم يعترض عليه أحد، لأن طبائع الناس على حد قول "أبي زيد" تختلف في قابليتها لإكتساب المعرفة، ويبين أن من الناس من يكتسب المعرفة بالأقاويل البرهانية، وهي أقاويل فلسفية؛ أي بأسباب التفكير النظري التجريدي، وأن البعض منهم لا يقبل عقله هذه البراهين، ويكتفي فقط بالأقاويل الجدلية لإكتساب المعرفة، كما يكتسب الفريق الأول معرفته بالبراهين، وأن هناك فريقا ثالثا من البشر لا يقبل هذه الأقاويل البرهانية، ولا الأقاويل الجدلية، وإنما طبعه لا يتسع سوي للأقاويل الخطائية، كما يرى أن الاختلاف في طبائع البشر لا يفضي إلى تعدد وسائل اكتساب المعرفة، بل تعداه إلى مراعاة الشرائع السماوية⁽²⁾، وهذا ما أفرز تعدد اللغة التي يدير بها الناس هذه المعرفة المكتسبة، وهي ما اصطلح عليه أهل الاختصاص باللغة الخطائية، وهي للعامية، حيث يعبر بها عن الأقاويل الخطائية، أما اللغة الجدلية فهي خاصة بأهل الجدل وعلم الكلام.

وتأتي أخيرا لغة البرهان، وهي الخاصة بأهل البرهان، أي الفلاسفة، ويعبر بها عن جهة الأقاويل البرهانية، ومما سبق يتبين أن "ابن رشد" سعى إلى إرساء أسس منهجية في كيفية التعامل مع الخطاب القرآن، كي يلتزم بها كل متلق، وكل في حدود مستواه المعرفي، ووفق طبيعتهم على أن يأخذ بعين الاعتبار مستوى آليات القراءة التي يمتلكها، وبهذا يكون قد وضع خطوة أولية تؤسس لنظرية تلقي الخطاب القرآني، لتضبط وتحكم عملية قراءته⁽³⁾.

بلاغة الخطاب:

¹ - مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 25.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 25.

³ - ينظر: مفلح بن عبد الله، الخطاب القرآني وقضايا التأويل، ص: 26.

بدأت بحوث البلاغة الجديدة تتمحور منذ نهاية الخمسينات، حيث مرت بمراحل تكوين متباينة، تبلورت فيها تدريجياً باختلاف الأهداف والبرامج، والطرق المتبعة في صياغتها، وقد ظهر مصطلح البلاغة الجديدة أول مرة في عام 1958، وذلك في مقال "بيرلمان" تحت عنوان « مقال في البرهان: البلاغة الجديدة »، إذ حاول من خلاله إعادة بعث البرهان والمحاكاة، وقد بيّن أنه « إذا كانت القرون الثلاثة الأخيرة قد شهدت أعمالاً كبرى، تدور حول المشكلات الفلسفية والإيديولوجية، واتسم هذا القرن الأخير بازدهار الدعاية والإعلان، فإن المناطق المحدثين قد أغفلوا هذا الجانب، مما يجعل نظريتنا تقترب مرة أخرى مبدئياً من شواغل عصر النهضة. ولذا فإننا نقدمها باعتبارها بلاغة جديد »⁽¹⁾.

وأراد من ذلك تجاوز البلاغة التقليدية، وإغفال الجوانب التي ركزت عليها، فبعدما كان هدف البلاغة هو الكلام المقنع للجمهور، بتركيزها على الوسائل اللغوية التي تحقق ذلك، أضح البرهان هو السمة الأساسية للبلاغة الجديدة، التي سعى إليها "بيرلمان" وهذا يتضح في قوله: « فإن ما يترتب على ذلك هو أنّ أفضل الخطب، ليست بالضرورة هي التي تقنع المفكرين، ومن هنا تنبع أهمية تحليل الحجج البرهانية فلسفياً، وهي ذات طابع عقلي أساس، لأنها تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات والضغط والمصالح والأهواء »⁽²⁾، فالخاصية الأساسية التي تتميز بها البلاغة الجديدة هي أنها بلاغة عقلية منطقية تعتمد البرهان، بعيداً عن التجريب وما إلى ذلك .

أما التيار الثاني للبلاغة الجديدة، فقد نشأ في منتصف الستينات، وهو تيار لا صلة له بما ذهب إليه "بيرلمان" من بلاغة منطقية، حيث ارتبطت هذه البلاغة بالبنوية النقدية الشكلانية إذ يمثلها جملة من البلاغيين، ومعظمهم من فرنسا مثل "جيرار جينت" و"جان كوهين" و"تودوروف" وغيرهم.

¹ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، (د. ت)، ص: 68.

² المرجع نفسه، ص: 69.

ويأتي الاتجاه الثالث لتحليل الخطاب، بمنهج وظيفي يتجاوز الاتجاه البنوي، حيث يعتمد على السيميولوجيا من ناحية، والتداولية من ناحية أخرى، وقد انضم إليهم بعض أنصار التيار الثاني في نهاية السبعينات، مثل "تودوروف" الذي اعترف عام 1979 بأن السيميولوجيا يمكن أن تفهم باعتبارها بلاغة معاصرة⁽¹⁾.

لقد اتضح أن مفهوم بلاغة الخطاب، مرهون بالاعتداد بما كعلم لكل أنواع الخطاب، علم عالمي في موضوعه ومنهجه، مهما اختلفت الأسماء التي تطلق عليه، فهناك من يطلق عليه "النحو العالمي للخطاب"، في المقابل هناك من يحصره في الخطاب القضائي أو الأدبي، وبالرغم من تنوع مادة الخطاب، إلا أنه سيظل هناك "فن شكلي عام" قابل للتطبيق على مختلف الأنواع، وقد اقترن هذا التيار ببحوث تحليل الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي، وبشكل مكثف في اتجاهات علم النص⁽²⁾.

وعليه يمكن القول أن الإطار الحديث لبلاغة الخطاب، لا يقع في منطقة فلسفة العلوم، وإن كان قد انبثق من تصور مقارب لها، فإنه يدور في فلك علوم الاتصال التي تخضع إلى المنطق الاستدلالي العملي، وتتبع كل إجراءاته المنهجية والتجريبية، وتخرج بنتائج يمكن أن تصب في فلسفة العلوم الحديثة، وتمضي بلاغة الخطاب تأسيساً على هذا التصور في سياق كوكبة من العلوم.

إستراتيجية الخطاب القرآني :

لقد تنوعت إستراتيجيات الخطاب القرآني، باعتبارها طريقة يلتزمها المخاطب للوصول إلى الغرض المنشود، فأحياناً ترد بصيغة تصريحية مع تعدد أغراضها ومقاصدها، وأحياناً تكون تلمحية في

¹ - ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 65، 66.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 67.

المواقف التي يفضل فيها عدم التصريح المباشر بالقصد، وقد استخدمت هذه الاستراتيجيات لتبليغ مقاصد القرآن إلى المخاطب وتحقيق الهدف الخطابي.

1- الاستراتيجيات التصريحية :

ميز القدماء فيما يخص الإستراتيجية التصريحية المباشرة، والاستراتيجية غير المباشرة؛ أي التلميحية بين دلالة الظاهر، وما خرج عن مقتضى الظاهر⁽¹⁾، وهذا ما نجده عند "عبد القاهر الجرجاني" في قوله: « ضرب أن تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج عن الحقيقة فقلت: خرج زيد... وضرب أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية يصل بها إلى الغرض »⁽²⁾، وهكذا تصبح دلالة الإستراتيجية التصريحية مرتبطة باللفظ وحده، وعنه تتفرع دلالات أخرى تأصل للغرض الذي يقتضيه المقام.

أ- خطاب التكليف :

يتمثل هذا الخطاب في طلب فعل شيء، أو الكف عن فعله أو التخيير فيه، وهو مقصود بذاته حتى يقوم المكلف بفعله، أو الكف عنه، إذ ينبغي أن يكون في مقدور المكلف فعله أو تركه لذلك فإن هذا الخطاب يتمثل في أفعال الأمر والنهي، التي يحفل بها النص القرآني، والتي تبدأ في أغلبها بنداء يتوجه به الله إلى المتلقي⁽³⁾، كما يرى الأصوليون أن متلقي الخطاب لا يكون مؤهلاً لتلقيه وأداء ما يتضمنه من أفعال يعتد بها شرعاً، إلا إذا توفرت له ثلاث قدرات يمكن حصرها فيما يلي: قدرة فهم الخطاب، و قدرة الاختيار، و قدرة العمل به، فإذا تحققت هذه القدرات الثلاث، كان هو

¹ ينظر: محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط.)، (د.ت)، ص: 152.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق وتهميش، محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1 (1425 هـ، 2005م)، ص: 178.

³ ينظر: إدريس حمادي، المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1998م)، ص: 49، 48.

المخاطب أو المكلف الذي يعنيه صاحب الخطاب، وإذا لم يتحقق أو تعطل واحد من هذه القدرات الثلاث، لم يكن بالتأكيد هو المخاطب المعني⁽¹⁾.

يعد النداء من الأفعال التوجيهية، لأنه عبارة عن فعل محفز للمتلقي، لرد فعل متكلم ومن أبرز أدوات النداء الياء، ويحتل مساحة معتبرة في النص القرآني، ذلك لارتباطه بالأمر والنهي وهو أول فعل يمكن للمخاطب القيام به، حتى يتمكن من تحديد مقاصده، والنداء عبارة عن دعاء يتحقق بثمانية أدوات، وهي: "الهمزة، أي مقصورتين وممدودتين، الياء، أيا، هيا، الواو، وأعمها "يا" وهي تدخل على كل نداء⁽²⁾، وقد استعمل النداء كثيرا في أساليب القرآن الكريم، بالأداة "يا" سواء أكانت مذكورة أو محذوفة، أو مصحوبة بأي، وذلك واضح بأشكال مختلفة ومتفاوتة، مثل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ﴾ [المزمل، الآية 1]، وقوله جلّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج، الآية 1]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر، الآية 1].

يحرص الخطاب القرآني على التنوع في مخاطباته، وأساليبه من أجل بلوغ الفائدة لجميع المخاطبين، باستعمال أداة نداء مناسبة، ثم يخاطب كل حسب طبيعة إيمانه، ومكانته الخاصة ومكانته الاجتماعية « فخطاب الأذكيا غير خطاب الأغبياء، وموضوع العقائد التي يتحمس لها الناس، غير موضوع القصص، وميدان الجدل الصاحب، غير مجلس التعليم الهادئ، ولغة الوعد والتبشير غير لغة الوعيد والأندار»⁽³⁾، وذلك كله راجع إلى خصوصية الخطاب القرآني التكوينية المرتبطة بالقدرة الإلهية الإعجازية، وللنداء في القرآن أغراض مختلفة، كالإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه، التعجب والتحسر، وأول نداء في القرآن الكريم "يا أيها الناس" وهذا دليل على أنه رسالة توجيهية لكل الناس، ثم يبدأ في تخصيص النداء، حسب نوع الخطاب الذي يسعى القرآن الكريم إلى تبليغه، ومثاله قوله

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 72.

² - ينظر: إبراهيم السامري، من أساليب القرآن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)، (1407هـ، 1987م)، ص: 41.

³ - عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 (2001)، ص: 188.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة، الآية 21].

كما نادى الله - عز وجل - أنبياءه مخاطبا كل نبي باسمه، وذلك لتوجيههم إلى قضية هامة وهي كيفية أداء المقاصد التبليغية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص، الآية 26]، إذ يعتبر هذا النداء وصية من الله إلى داوود - عليه السلام -، ولكل ولاية الأمور بأن يحكموا بين الناس بالحق، والعدل.

فالنداء عبارة عن طلب واستحضار، يراد منه إقبال المدعو على الداعي، ليتمكن من توجيهه إلى ما يريد، ويكون في غالب الأحيان مصحوبا بالأمر والنهي، ويذكر أحمد بن فارس في كتابه النداء في اللغة والقرآن أن "البيهقي" أخرج عن "ابن مسعود" قال: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا، فأعرها سمعك فإنه خير يؤمر به، أو شر ينهى عنه»⁽¹⁾، فالنداء في القرآن الكريم يخرج لأغراض مختلفة هدفها ديني محض.

ويعد "الزمخشري" من العلماء الذين لفتهم أسلوب النداء في القرآن الكريم وذلك بيدوا جليا في قوله: «كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خُلِقَ الخلق لأجله، وقامت عليه السموات والأرض به، فكان حق هذا أن تدرك بهذه الصيغة البليغة

¹ - أحمد بن فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، (1409 هـ، 1989م) ص:

«⁽¹⁾، فلجوء القرآن الكريم إلى النداء كسبيل لهداية الناس، ذلك أن المولى -عز وجل- رأى فيه تحقيق للمقاصد.

ب-الدعاء كسلطة خطابية معلقة بالاستجابة:

يعد الدعاء إحدى الآليات التي تحقق المقاصد من وراء الأقوال، الموجهة إلى الله، لأنه يوجه إليه دون المخلوقات، وغالبا ما يكون هذا الدعاء على شكل مناجاة ذات اتجاه واحد، وقد اعتبره القدماء حديثا شخصيا، سمي "بحديث النفس" للتعبير عن حالة تبلغ فيها الحاجة إلى الله مداها ⁽²⁾ وعليه فالدعاء عبارة عن وسيلة يمتلكها المؤمن من أجل تحقيق حاجة معينة، حين تنغلق عليه كل المسالك، ومثال ذلك دعاء إبراهيم - عليه السلام- متوجها إلى ربه حين أحس بالضعف وقلة الاحتيال على الأمر الواقع ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم، الآية 35-40].

ففي هذا الدعاء نلمس خضوع "إبراهيم" -عليه السلام- لربه، موجها إليه دعواته أن يجنبه وبنيه الشرك به، بعبادة الأصنام التي كانت ملة قومه الكافرين، متضرعا إليه بهداية الناس والمن عليهم بفضله، ويرزقهم من خيراته، فالدعاء هو سبيل العبد اتجاه ربه، حتى يطلب العون منه فدعاء

¹- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ط2، (1391 هـ، 1972م)، ج2، ص: 324.

²- ينظر: أمانة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (2005م) ص: 94.

"إبراهيم" متضمن لأفعال كلامية، كما اجتمعت فيه أفعال أخرى، كالنداء (رب) والأمر المتضمن معنى الرجاء، (اجعل، اجنبي، ارزقهم)، وهي وسائل لغوية يتم بها تحقيق النشاط الخطابي، نظرا لما تحمله من قوة كلامية⁽¹⁾.

2- الاستراتيجيات التلميحية :

يمكن للمرسل أن يعبر عن قصده بشكل دلالي مباشر، يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا، وقد يعدل عن ذلك فيلمح قصدا، عن طريق مفهوم الخطاب المناسب للسياق، من أجل إنتاج دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، مما يمنح الخطاب دلالة للتعبير عن القصد⁽²⁾، وعليه فإن الخطاب له معنى مباشر، وله قوة إنجازية حرفية تدل عليها ألفاظه، حسب ما تم التواضع عليه في اللغة، وقد يمنح السياق للخطاب أكثر من قصد، « فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن عددناه واحدا من مقاصده فليس القصد الرئيس، إذ يَحْتَبِئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، وهو إما الرفض أو التهكم، ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر»⁽³⁾، فالتلميح إستراتيجية يلجأ إليها المرسل من أجل بث رسالة ما، بطريقة غير مباشرة لعلها تكون أبلغ من المباشرة.

لقد تناول الباحثون ظاهرة التلميح قديما، لانتمائهم إلى تخصصات متعددة، كالعلوم اللغوية والأدبية، وعلوم الفقه وأصوله، "فالجرجاني" مثلا يرى أن ما خالف الأصل استلزم غير الظاهر وتعرض للتلميح على مستوى معنى الخطاب، وذلك عند التعبير بالمفهوم عن القصد⁽⁴⁾، أما "السكاكي" فقد عبر عنها في ضوابط خروج بعض الأفعال اللغوية، في قانون الطلب عن معناها إلى معان أخرى، وكذلك عند "ابن قتيبة" في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناها، وعليه يمكن القول أن الإستراتيجية

¹- ينظر: أمانة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص: 96.

²- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 367.

³- المرجع نفسه : ص: 368.

⁴- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 374.

التلميحية تتمثل في الأقوال الخارجية، ودلالاتها عن مقتضى الظاهر، وأنها تتمثل في علامات سياقية لا يدرك معناها، إلا من خلال القرائن اللسانية، والحالية وأضرب الاستدلال العقلي⁽¹⁾.

أ- خطاب الالتماس الموافق لبعثة الرسل:

يعد الالتماس واحد من الطلبات المؤدبة، التي تبدو في ظاهرها عبارة عن أسئلة، أوفي شكل جمل خبرية، والتي تدعى بالأسئلة الاستنكارية، وقد استعمل هذا النوع في القرآن الكريم أثناء بعثة الرسل إلى أقوامهم، حيث أمروا باستعمال أسلوب التأدب والالتماس، حتى يستجيب المدعون لدعواتهم، ومثال ذلك عندما أرسل موسى إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات، الآية 15-19].

فهذه الآيات تبدأ باستفهام، للتمهيد وإعداد النفس، ثم تبدأ أحداث القصة، وذلك بنداء موسى - عليه السلام- ومناجاته، وهو بالواد المقدس طوى، ومعروف أن نداء الله لعبده أمر هائل، وسر من أسرار الألوهية، ثم يأتي بعد ذلك أمر التكليف الإلهي لموسى -عليه السلام- بإرساله إلى فرعون الطاغية لوقف طغيانه، بأسلوب فيه حكمة وأدب، قبل أن يأخذه الله تعالى بالعذاب، وبالتالي يظهر « التأدب في إنجاز الأفعال التوجيهية هو الدافع الرئيس، لاستعماله الإستراتيجية غير المباشرة»⁽²⁾، فمجيئ الآية على هذه الشاكلة الاستفهامية التي جاءت غاية في التأدب، فيها تلميح لدعوة موسى - عليه السلام- لفرعون بوجوب الخوف من عذاب الله - سبحانه وتعالى - .

ب- التعبير عن القصد بالتعريض :

¹ - ينظر : المرجع نفسه: ص: 375.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص : 392.

إن التعريض من الإستراتيجيات التلميحية المستعملة بكثرة عند العرب في خطاباتهم، حيث أعتبر من الكفاءات التداولية عند المرسل، ودليل على النبوغ الخطابي، ذلك «أن العرب تستعمله في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف، وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيرون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء، ويقولون لا يحسن التعريض إلا ثلبا»⁽¹⁾، ومن أمثلته في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص، الآية 26]، هذا يعني أنّ الفتاة رأت في موسى الأمانة والقوة، فأرادت من أبيها أن يستأجره لرعي الغنم « ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه»⁽²⁾، وحدث ذلك لما رآته منه لما كان الرعاء يسقون، فأخذ منهم ذلك وسقى لها ولأختها، مما جعلها تعرض على أبيها أن يستأجره، ما جعل الأب يفهم ببساطة وسهولة قصدها، فعرض على موسى أن ينكح إحداهما وقوله تعالى يوضح ذلك: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص، الآية 27].

ذلك أن الفتاة تكلمت بخطاب جعلها تستلزم أنها معجبة بالرجل، وقد فهم أبوها من ذلك الخطاب أنها تقصد شيئا آخر، وأن الحياء منعها من التصريح بذلك مباشرة، ما دفعها إلى الرجوع إلى استخدام التلميح بالتعريض، وهذا ما نجد "الجرجاني" يشير إليه في كتابه دلائل الإعجاز « نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»⁽³⁾، وعليه فلا توجد روابط لغوية بين لفظ التعريض وقصد المتكلم، مما جعل الشيخ يفهم قصد ابنته، فعرض تزويجها على موسى - عليه السلم-، وقد تيسر هذا التعامل الخطابي

¹ ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مُشكل القرآن، شرح ونشر: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، (1402هـ، 1981م) ص: 463.

² سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط34، (1425هـ، 2004م)، مج5، ص: 2687.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 47.

بينهم كمتحاورين، ذلك أن « ما يدعو لاستعمال التعريض بكثرة، هو رغبة المرسل في الظفر بحاجته دون أن يؤثر سلبا في نفوس الآخرين، سواء أكان هدفه شريفا أم وضيعا»⁽¹⁾.

وعليه فالمتكلم يستعمل التعريض في خطابه إذا كان واثقا من أن المخاطب يفهم قصده، وإذا لم يفهمه فلا بد عليه من التصريح بذلك حتى يفهم المتلقي خطابه، ومن هنا « فأن القول بالتصريح يحمل الحدث في أصلاته النفسية والاعتيادية الحية، ولما كان القرآن صارما في قصديته التبليغية، وفي اقتصاده الإدلائي، فإن التصريح في أدبيه الخطاب القرآني هو في الآي قول وفعل أو هو حدث أو موقف، وحين يسرد القرآن الوقائع عن طريق التصريحات والأقوال فإنه يعرض الحقيقة من مصدرها عارية متركرة على قناعته وحجته»⁽²⁾.

إن الخطاب القرآني خطاب يمزج بين العاطفة والفكر، والحق والجمال، والعقيدة والمعرفة يخاطب العقل والقلب معا، ليجعل بذور العقيدة التي يدعو إليها ضاربة في أعماق النفس للتأثر والإقناع، فهو خطاب توصيلي، يصدر عن أدبية تقريرية إقناعية، إذ كان الحوار من أبرز فعالياته التبليغية، فكان التقرير بواسطة القول والتقويل، وتواتر فعل قال، وقالوا في النص القرآني، إذ عبر عن العالم الغيبي، وعرض مشاهد اللامرئي بصورة المرئي، فعمد إلى إثارة عقل الإنسان، للنظر والبحث والتأمل، وجعله يصل بنفسه إلى الاقتناع بما بثه الله تعالى في آياته⁽³⁾.

القصص القرآني:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، المنزل لهداية الناس إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، فهو كتاب دعوة دينية أولا وآخرا، ولذلك اتخذ القرآن وسائل متعددة لتحقيق هذه الهداية،

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص: 424.

² سليمان عشارتي، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ص : 185.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص : 185.

والقصّة القرآنية إحدى هذه الوسائل «إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبداع هذه الدعوة وتثبيتها»⁽¹⁾، فقد سبقت القصة في القرآن لأهداف دينية بحتة، ذلك أنّ النصوص المباشر تنفع لأمر معين، مثل تقرير الأحكام التي تنظم أمور حياة البشر، كالقصاص وأحكام الزواج وتنظيم العقود على اختلافها، ونصوص تحريم المحرمات مثل الخمر والربا والزنا، فهذه لا تحتاج إلى أسلوب قصي، وإنما هي أوامر ونواهي تلزم المؤمن العمل بها، ولذلك وردت القصة في القرآن الكريم على ثلاث أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء إذ ورد فيها سبل دعوة الأنبياء لأقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها لمجابهة أقوامهم، والمراحل التي مرت بها هذه الدعوة مثلاً: قصة إبراهيم وقصة نوح وقصة موسى - عليهم السلام -.

النوع الثاني: قصص قرآني، حيث يتعلق «بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذو القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم»⁽²⁾ فهذا النوع من القصص يهدف إلى مد الناس بالعبرة والعظة.

النوع الثالث: وهي القصص التي تختص بالأحداث التي وقعت لرسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - «كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك»⁽³⁾، ومن هنا فإن القصص القرآني بأنواعه يهدف إلى إرساء الدعوة إلى الله، وتثبيتها.

أغراض القصص القرآني:

¹ - سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، التصور الفني في القرآن، دار الشروق، ط17، (د.ت)، ج1، ص:144.

² - القطان مناع بن الخليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، (1421هـ، 2000م)، ج1 ص: 317.

³ - القطان مناع بن الخليل، مباحث في علوم القرآن، ج1، ص: 317.

ذكرنا سابقاً أنّ القرآن الكريم ساق القصة من أجل تحقيق أغراض دينية، ونذكر من أهم أغراضها مايلي:

- إثبات الوحي والرسالة لمحمد - صلى الله عليه وسلم-: من المعلوم أنّ الرسول-صلى الله عليه وسلم- كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وقوله تعالى في كتابه العزيز دليل على ذلك: كما أنّه لم يجالس علماء، ولم يتلقى خبراً منهم عن من قبله، « فإذا ما ثبتت هذه الحقيقة وجاء القرآن بقصص الأنبياء السابقين، وأحوال الناس الغابرين، في دقة وتفصيل على نحو يتفق مع ما هو معلوم لدى أهل الكتاب من هذه القصص ويفوقه صحة ووضوحاً، إذا كان كل هذا: فقد ثبت بالدليل القاطع أن محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- ما كان ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى»⁽¹⁾.

فمجيء قصص الأنبياء السابقين على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم- بتلك الدقة والتناسق، وبثبوت الدليل على عدم معرفته- صلى الله عليه وسلم- للقراءة والكتابة يثبت أنّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- لم ينطق عن الهوى، وإنما كلامه بوحى من الله - سبحانه وتعالى-.

- بيان وحدة الوحي الإلهي: يذكر العلماء أنّ الغرض الأساس من القصة القرآنية، هو بيان « أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح إلى عهد محمد، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع؛ وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة، ولما كان هذا غرضاً أساسياً في الدعوة، فقد تكرر مجيء هذه القصص على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس»⁽²⁾ وعليه فإنّ القصة القرآنية تنبه إلى أنّ الشرائع المنزلة لا تعارض فيها ولا اختلاف، إنما الدين واحد.

- تثبيت النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في مجال الدعوة وبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين: ولعل هذا الغرض من أهم الأغراض التي سيقّت من أجله القصة القرآنية، إذ ورد كثير من قصص

¹- مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دالر العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، (1418هـ، 1998)، ج1، ص: 183.

²- سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي، التصور الفني في القرآن، ج1، ص: 149.

الأنبياء مع أقوامهم مرة مجتمعاً ومرة متفرقة، كما تكرر فيها العرض أحياناً، وذلك بهدف بيان « أن طريقة الأنبياء جميعاً في الدعوة إلى الله تعالى واحدة، تتجلى في إشفاقهم على أقوامهم وصبرهم على أذاهم، إلى جانب تشابه مواقف أولئك الأقوام في إعراضهم وسوء استقبالهم لأنبيائهم»⁽¹⁾.

فلا شك أن في ذكر أخبار الأنبياء من قبله وما كابده من إيذاء قومهم، ثم نصر الله عز وجل لهم، وإهلاك المكذبين، ما يدعو إلى التحمل والصبر وبيت في قلبه الطمأنينة ومواصلة الدعوة ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)﴾ [الأحقاف، الآية 35].

إنَّ القصة القرآنية خضعت كل الخضوع إلى الغرض الديني ونحن في هذا المقام نما ذكرنا بعض الأغراض التي تهدف إليها على سبيل الإشارة وليس على سبيل الحصر .

¹ - مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، ج1، ص:185.

الذليل

مفهوم الإقناع:

لغة : المتبّع للمعاجم اللغوية العربية يجد أنّ: قنع بنفسه قنعا، وقناعةً هو الرّضى بالشّيء وأقنعني كذا؛ أي أرضاني.

وقنَعَ : بكسر التّون قنعاً وقناعةً رضي بما أُعطي.

والمعنى اللغوي الأقرب لمفهوم الإقناع المنشود في بحثنا هذا هو "الرّضى بالشّيء"⁽¹⁾.

الإقناع اصطلاحاً:

لابدّ من الوقوف على التعريفات التي أوردها أقطاب البلاغة العربية في مؤلفاتهم، نذكر منهم "الجاحظ": « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ متخيّر اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة »⁽²⁾، "الجاحظ" وإن لم يشر إليه بلفظ صريح، إلا أنه ضمّنه في قوله فغاية "الجاحظ" هي الخطاب الإقناعي، سواء أكان شفويًا أو كتابيًا، كما أنه لم يحدد جنس الخطاب نثراً كان أو شعراً، فتعامل مع كل جنس على أنه خطاب.

أما "حازم القرطاجني" فذهب إلى أنّ الإقناع « حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده »⁽³⁾، نستشف من هذا التعريف أنّ الإقناع يكون بالتأثير في نفس المتلقي، مما يدفعه إلى تغيير أفكاره وسلوكه، في حين أن "الخوارزمي" ذكر أن « الإقناع أن يعقل نفس السامع

¹ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مادة (قنع)، مج 12، ص: 202، 201 .

² - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ط)، (د. ت) ج1، ص: 92.

³ - القرطاجني أبو حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. ط) (د. ت)، ص: 20.

الشيء بقول يصدّق به وإن لم يكن ببرهان»⁽¹⁾، فالتصديق كاف لحصول الإقناع وإن لم يكن الخطاب مدعماً بالبراهين والحجج، وبالتالي فالإقناع عند الخوارزمي هو التصديق.

أما في العصر الحديث فنجد "إبراهيم أبو عرقوب" يبين أن «الإقناع هو أن تجعل شخصا يقوم بعمل ما، عن طريق النصح والحجّة والمنطق أو القوة، فهو اتصال مكتوب أو شفوي أو سمعي أو بصري، يهدف بشكل محدد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك»⁽²⁾.

قد يتم الإقناع بالترغيب، كما يكون بالترهيب، لأن الهدف واحد، هو تغيير سلوك المتلقي بتغيير أفكاره ومعتقداته، فمهما تعددت وجهات النظر في تعريف الإقناع، إلا أنه يبقى جهد اتصالي بالدرجة الأولى، مؤسس على قصد، ومخطّط له وفق إستراتيجية وأهداف معينة، من أجل استمالة المتلقي، والتأثير فيه فكرياً وعقائدياً وسلوكياً.

مفهوم الحجاج :

لغة: الحجاج مشتق من الفعل (حَجَّجَ) يقول ابن منظور «حَاجَّجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجاً وَمُحَاجَّةً حتى حَجَّجْتُهُ؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، (الحجّة) البرهان: وقيل الحجّة ما دفع به الخصم، ورجل محجاج؛ أي جدل وحاجّه مُحَاجَّةً وحجاجاً: نازعه الحجّة»⁽³⁾.

فالحجّاج مرادف للجدل عند ابن منظور.

الحجاج اصطلاحاً :

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي من لفظة حجاج، على تعدد استعمالها "حجاج احتجاج الحاجة"، إذ نجد في علوم شتى، الفكرية والفلسفية والفقهية، والتي تتخذ الحجّة سبيلاً لإظهار

¹- الخوارزمي محمد أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2 (1409هـ).
1989م، ص: 177.

²- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في النفاعل الاجتماعي، دار المجدلوي، الأردن، (د.ط)، (1993م)، ص: 189.
³- ابن منظور جلال الدين، لسان العرب، مادة (حَجَّجَ)، مج4، ص: 38.

الحق، فتعدد مجالات استعماله انعكس على تعدد تعاريفه، ولذلك نكتفي بذكر تعريف "أبو الوليد الباجي" « وهذا العلم من أرفع العلوم، وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجَّة ولا اتضحت محجَّة، ولا عُلمَ الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم »⁽¹⁾.

فالحجاج علم قائم بذاته، له أركانه وقواعده، إذ أنه يعمل على تمييز الصواب من الخطأ والحق من الباطل، وتبيان السليم من السقيم، وهذا ما يكسبه تلك الأهمية .

الإقناع والحجاج :

غاية المتكلم من أي خطاب يوجهه سواء للفرد الواحد أو للجمهور هي الإقناع، وذلك بطرح الحجج التي تحمل المخاطب على الإذعان، فهو يركز على الحجة، ومن هنا فارتباط الإقناع بالحجاج أمر مفروغ منه، إذ يعد الوجه الآخر للحجاج.

فمفهوم الإقناع يقترب من مفهوم الحجاج، الذي هو طرح الحجج، والبراهين لإقناع المخاطب بفحوى الخطاب، وجعله يذعن دون إكراه أو قهر، « فالحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين، والتأثير فيهم »⁽²⁾، ومن هنا فالإقناع غاية الحجاج وهذا الأخير هو وسيلة الأول - الإقناع - في التأثير على المخاطب، واستمالاته، فقوة الحجَّة تدفع المتلقي إلى الإذعان والاقتران.

فرغم هذا التقارب إلا أن هناك تباين بينهما، فالإقناع هو ما به يحاول المتكلم إقناع نفسه أولاً، في حين أن الحجاج موجه لإقناع الآخرين، عن طريق الأدلة والبراهين، بوسائط لغوية مختلفة وبالتالي يكون النص خطاباً إقناعياً، ولكنه ليس حجاجياً، فالفصل بينهما يكون تبعاً للحجج المعتمدة « لأن

¹ - الباجي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، (1987م)، ص: 8.

² - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مقال ضمن مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، ص: 274، 275 .

الملتقي متى سلّم بالمقدمات التي قدمها المتكلم، فهو مقتنع من طرفه، ومتى ردها أو رفضها فهو محاجج، ويتمثل رد ورفض الملتقي في استخدامه لحجج قد تعيق حجج المتكلم من بلوغ هدفه «(1).

ومن هنا فإن عملية الإقناع تتوقف على التأثير، الذي يحدثه خطاب المتكلم في مخاطبه، إذ يرجع إلى قدرة المتكلم على استعمال تقنيات مخصوصة، وذكائه في اختيار ما يؤثر في الملتقي تبعاً للمعرفة الدقيقة بنفسيته، فقضية الإقناع مرهونة بمدى نجاعة الحجاج (2)، فمثلاً في الخطاب الإشعاري لمنتوج ما، لا بد من إقناع المتفرج واستمالته والتأثير فيه، حتى يقتنيه « يشترط في الإقناع البيئية التي تكون فيه بمنزلة الدليل، الذي بلغ درجة الوضوح يصير معها المتوسل به قادر على الظهور على خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنيا بظهوره عن جانب الإستدلال» (3).

يتداخل الإقناع مع الحجاج، وذلك لدخول الدليل كشرط أساسي لإقناع الملتقي - المتفرج - ذلك أن الدليل هو جزء من الإستدلال، وإن كان هناك تباين بين الحجاج والإقناع، إلا أن كل خطاب هادف إلى الإقناع، يستلزم الحجة المنطقية للتأثير، ذلك أن هناك تفاوت في درجة الفهم والإقناع والإذعان، فمنهم من يقتنع بسهولة، ومنهم من يستفسر ويناقش، ويحاجج ليقتنع وعليه فالحجاج وسيلة المتكلم للإقناع، وفي نفس الوقت هذا الأخير غايته.

الحجاج في القرآن الكريم :

¹ - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص: 275.

² - ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب ط1، (2005م)، ص: 51.

³ - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص: 276.

إنّ البحث عن الحجاج في الثقافة الإسلامية، يحيلنا إلى قراءة دقيقة للتراث العربي، ذلك أن الدرس الحجاجي العربي، تجاوز الدراسات التي قامت عليها البلاغة إلى علوم أخرى، كعلوم القرآن والتفسير وأصول الفقه... الخ

تعود روافد الحجاج إلى علوم مختلفة ، ذلك لاشتراكه معها في فن الخطابة، فهي القاسم المشترك بين جميع العلوم، إذ أنها قادرة على مجابهة الجمهور، والتأثير فيهم بإقناعهم « يرجع تأكيدنا على الصفة الحجاجية للقرآن، إلى كون المتقبلين لهذا الخطاب كثيرا، وهم من مستويات مختلفة وكذلك الراضون له والعازفون عنه كثيرا، ولهم في غالب الأحيان حججهم-رغم ضعفها- وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة، فقد تقنع أصناف ولا تقنع أخرى»⁽¹⁾.

والحديث عن الحجاج، في القرآن الكريم وعلومه، يحيلنا إلى جملة من المؤلفات نذكر منها "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، "والإتقان في علوم القرآن" للسيوطي ، حيث أشاروا إلى الحجاج، الذي بني عليه آي القرآن الكريم باعتباره علما من علومه .

وردت ألفاظ " المحاجة " الحجاج ، الاحتجاج ، على أنها مرادفة للجدل، وقد أشار إلى ذلك "الطاهر بن عاشور"، بتبيان معنى دلالة "حاجّ" في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة الآية 258]، « معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ويعرف حاجّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها ومن العجيب أن الحجّة في كلام العرب البرهان (...). مع أن حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المحاصمة»⁽²⁾،

¹ الحواس مسعودي، البينة الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، أكتوبر العدد 12، ص: 233.

² ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط)، (1984م)، ج3، ص: 32.31.

فالجامع بين لفظي "الحجاج" و"الجدل" في القرآن الكريم، هو المحاصمة « والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي المنازعة بالقول لإقناع الغير برأيك »⁽¹⁾.

وخلاصة القول، فإن القرآن الكريم عبر عن مصطلح الحجاج بأشكال من الاستعمالات حسب السياق، فمنها ما يكون بالحوار، ومنها ما يكون بالمناظرة، وما يكون بالجدال، والهدف من ذلك هو إقناع المتلقين، بالبراهين والحجج العقلية والكونية، لإثبات الألوهية وتحقيق الحق ودحر الباطل سواء بالترغيب أو بالترهيب .

السلالم الحجاجية :

تعد من منطلقات النظرية الحجاجية اللسانية التي « وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أوزفالد ديكر" منذ 1973، وهي نظرية لسانية، تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير »⁽²⁾؛ أي أن كل لغة تحمل في ذاتها صفة جوهرية، ووظيفة حجاجية يستطيع المتكلم بواسطتها التحكم في خطابه، وتوجيهه وفق أهدافه التي يرمي إليها من وراء خطابه.

وقد ركز "ديكر" على فكرة التلازم بين الحجة والنتيجة المترتبة عنها، « ومعنى هذا التلازم هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم، إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية »⁽³⁾، إذ لاحظ في أثناء وضعه لمفاهيم هذه النظرية، أن معظم الأفعال اللغوية ذات طبيعة حجاجية، إذ أنها تعمل على توجيه المتلقي إلى نتيجة معينة ذلك أن « أي مقول يحمل في ذاته تعبيراً عن السمة الحجاجية، وهي سمة تتنوع بتنوع المتكلمين، وتبعاً لأوضاع الخطاب، فلا أحد يستطيع أن يتوقع النتيجة (ن) المقترحة من (م) المقدمة بواسطة (ب)

¹ - المصدر نفسه، ج5، ص:194.

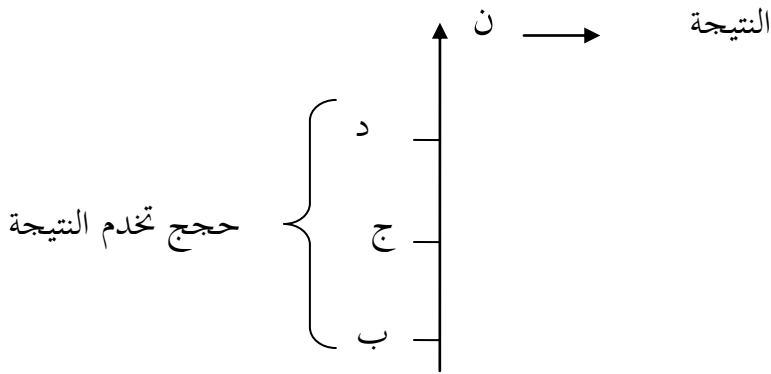
² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1426هـ، 2006م)، ص:14.

³ - شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، منوبة، (د. ط)، (د. ت)، ص: 363.

«⁽¹⁾، فالمحاجة مرهونة بالمتكلم والخطاب، وإن كان ديكر صرح في البداية بعدم توقع النتيجة، إلا أنه تراجع وأقر بإمكانية ذلك انطلاقاً من أن الجملة (م) و (ب) تؤديان إلى نتيجة واحدة باختلاف درجة القوة، وبهذا صاغ ديكرو نظرية السلم الحجاجية متخذاً القوة والضعف معياراً لها.

السلم الحجاجي :

يرى "أبو بكر العزاوي" أن السلم الحجاجي هو « علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي»⁽²⁾:



وقد ذكر أن السلم الحجاجي يتسم بسمتين هما:⁽³⁾

أ- كل قول يرد في درجة من السلم يكون القول الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة ل (ن).

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة

الدار البيضاء، المغرب، ط1، (2005م)، ص:95.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:20.

³ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:21.

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى نتيجة (ن) فهذا يستلزم أن "ج و د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

وعليه فالسلم الحجاجي يقوم على ترتيب الحجج عمودياً، من الحجة الضعيفة أو الأقل درجة إلى الحجة الأقوى والأعلى درجة، في سلمية حجاجية واحدة، إذ « تكتسب الحجج قوتها من قوة مصادرها »⁽¹⁾، مثلاً الحجج المستمدة من القرآن الكريم تكون أقوى في التدليل من غيرها، ولذلك تكون في أعلى السلم، ويمكن التمثيل بالجمل التالية: ⁽²⁾

- حصل زيد على شهادة الثانوية.
- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الحجج تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، والسلم الحجاجي نفسه، وهي تؤدي إلى نتيجة مضمرة، هي كفاءة زيد ومكانته العلمية، والمقول الأخير هو أقوى دليل على مكانة زيد العلمية وله الأحقية في الورد أعلى درجات السلم ، ويمكن أن نرمز لهذا السلم كما يلي:

النتيجة ← الكفاءة العلمية

ج شهادة الدكتوراه

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص: 544.

² - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 21.

ب شهادة الإجازة

أ الشهادة الثانوية

قوانين السلم الحجاجي :

استنتج "ديكرو" قوانين السلم الحجاجي وأهمها ثلاثة هي:

قانون النفي:

استخدام المتكلم قول ما " أ " يخدم نتيجة معينة، ونفي هذا القول أي (~ أ) يكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى « إذا كان " أ " ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " ن "، فإن (~ أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (لا - ن) »⁽¹⁾.

ويمكن التمثيل لذلك بالجمل التالية :

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

- زيد ليس مجتهد، إنه لم ينجح في الامتحان.

قبول الحجاج في القول الأول يستلزم قبوله في القول الثاني.

قانون القلب :

يرتبط هذا القانون هو الآخر بالنفي، وهو تنمة له، ومقتضى هذا القانون أنه « إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول »⁽¹⁾، ويمكن التمثيل لهذا القانون بما يلي :

¹- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، ص: 22.

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على مكاتته العلمية، من حصوله على ماجستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير، هو الدليل الأقوى على عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

قانون الخفض:

يوضح الفكرة، التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي مساوي للعبارة: *moins que* في حين نستعمل جمل من هذا القبيل مثلاً: (2)

- الجو ليس بارداً.

- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فإننا نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد شديد، كما نستبعد حضور كل الأصدقاء في " المثال الثاني"، وبالتالي يؤول كل من القول الأول والثاني على الشكل التالي :

- إذا لم يكن الجو بارداً، فهو دافئ أو حار.

- لم يحضر إلا القليل من الأصدقاء إلى الحفل.

وتلجأ صعوبة صياغة هذه الوقائع، إلى كون أن الخفض الناتج عن النفي، لا يتموقع في السلم الحجاجي، لأن الأقوال الإثباتية والأقوال المنفية لا تندرجان في نفس الفئة الحجاجية، ولا نفس السلم الحجاجي.

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1998م) ص: 277.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 23.

الحوار في القرآن الكريم:

يعد الحوار آلية من آليات التواصل، الهادف إلى إقناع الآخرين، وقد جاء الإسلام لينير درب الحق للبشرية جمعاء، عن طريق الحوار مصداقا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل، الآية 125]، فالخطاب القرآني خطاب معجز، يستوعب الإنسان والمواقف والواقع، فهو خطاب يتوجه بشكل مباشر وهادف إلى الإنسان، في كينونته الكاملة عقلا ونفسا ووجدانا، ففي « النفس الإنسانية قوتان، قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل منهما غير حاجة أختها، فأما إحداها فتتقلب عن الحق لمعرفة، وعن الخير للعمل به، أما الأخرى فنسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم ⁽¹⁾»، فالإنسان عقل ووجدان، ولكل منهما غاية تختلف عن الأخرى إذ العقل يقوم على معرفة الحق والخير والعمل به، أما الوجدان فيقوم على الإحساس بالأشياء وما فيها من لذة وألم .

إنَّ القرآن الكريم خاطب الجن والجماد والمغيب مخاطبته للإنسان، تكرسا منها لمبدأ الحوار ما شكل أبرز فنيات الخطاب القرآني، فكان لتواتر الافتتاحيات الاستفهامية في عدد من سور القرآن، ما يكشف عن المنحى القرآني الحواري في بث رسالته، وإرساء قواعدها، باعتبار أن صيغة الاستفهام، تقتضي حوارا يتمثل في سؤال وجواب، وبالتالي يظل إطار المحاوره ثابتا وهو ما تجسد في كثير من السور القرآنية كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ، الآية 1-2]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾ [الأعلى، الآية 1].

وعليه فإن الخطاب القرآني « انطلقا من جدليته الخطابية هذه، يمارس أيضا حوارا ذاتيا بقصد تبليغي موضوعي، وهو ما يجسده هذا الموقف التنويري القائم على المساءلة والمحاورة: ﴿هَلْ أُتْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء، الآية 221]، كما أن صدور الخطاب القرآني في عمومته عن، (أنا): (الله، النبي، أو المتحدث الفاعل بصورة عامة) وتوجهه إلى

¹ - عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط6، (1405هـ. 1984م)، ص: 113، 114.

(أنت) (مفرد... جمع، غائب أو حاضر، انس أو جن...)، يجسد المبدأ الحوارى الذى أصلته العقيدة الإسلامية كأخلاقية تعاملية يومية، وكفعل بنائى مستديم⁽¹⁾، فالخطاب القرآنى هو النموذج الأمثل فى اتخاذ المحاوره سبيلا للتواصل.

وعليه « فالحوار فى لغتنا وتراثنا الإسلامى له معان رفيعة القدر سامية الدرجة، تكسوها مسحة حضارية راقية ذات دلالات عميقة تعز عن روح الأمة فلقد حفلت الثقافة العربية والإسلامية، بأشكال مختلفة من وجوه الحوار فى القرآن الكريم، وفى مسائل النظر العقلى لدى علماء الكلام، والفرق الإسلامية، إذ اهتموا بآداب الحوار وشروط التحوار والبحث فى قضايا الاستدلال والتعليل»⁽²⁾، ولذا فالحوار وسيلة حضارية متجذرة فى الثقافة الإسلامية، ارتبطت بالقرآن الكريم وعلومه كون الحوار يتصف بالأخذ والرد بين طرفين بطرق مباشرة وغير مباشرة والتي تحمل قصديات المتخاطبين، ومن هنا يتحول الحوار من مجرد اتصال إلى تواصل تبعاً للتأثير والتفاعل الحاصل بين طرفى العملية التواصلية، ولكى يكون الحوار هادفاً لا بد من وجود أرضية خصبة يتم على أساسها التحوار بين الطرفين.

كما أن « التواصل يقتضى شراكة خطابية بين المتحاورين، وهم يحاولون بسط آرائهم وتبليغ معتقداتهم عن طريق الحوار، من غير تسلط أو إكراه إذ لا إكراه فى الدين، كما هو وارد فى القرآن الكريم، وإن حدث وأقنع أحد المتخاطبين شريكه أو حتى خصمه، فإن فعالية الخطاب والاستدلال العقلى تصبح الآداة الفاعلة التى تستثمر الملكات العقلية، واللسانية لتحقيق مقاصدها»⁽³⁾، وبذلك فالحوار الهادف، هو الحوار الذى يتم وفق طرق سلمية، يلجأ إليها المتخاطبين لتبليغ

¹ - سليمان عشارى، الخطاب القرآنى مقارنة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازى، ص 183.

² - أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر ط1، (2004م)، ص: 175.

³ - أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، ص: 88.

مقاصدهم، وفقا لقدراهم اللغوية، والاستدلالات العقلية التي تستند إلى الحجة المنطقية، التي تقوي روح الحوار وتجعله بناءا لا هداماً.

وليتم الحوار في أفق سليم لا بد من مراعاة الآداب التالية:⁽¹⁾

- عدم الاستعجال بالرد على الخصم.
- المحاورة بأفضل الأسماء والألقاب، وأحسن ألوان الخطاب.
- التزام الهدوء أثناء الحوار.
- بشاشة الوجه.
- التركيز على الرأي لا صاحبه.
- التزام الموضوعية في طرح موضوع الحوار، للوصول إلى الحقيقة.
- عدم التعصب والتحلي بالرفق واللين.

فالالتزام بأداب الحوار يضيف سمة الجدية عليه، كما يكون داعياً لحصول الإقناع، وتحقيق مقاصد المتخاطبين « فالخطاب القرآني كان يراعي شروط التلقي، ودرجات الاعتقاد، ومدارك المتلقين، وأوضاعهم الزمانية والمكانية، استجابة لدواعي الإقناع ومسلوكيات التخاطب وأنماطه السلوكية، وبنياته وأساسه المنطقية، وسلمية الاستدلالات العقلية، وحركية الأفعال الحجاجية، كل ذلك لإنشاء التواصل وتحقيق الحوار»⁽²⁾، وعليه فإن القرآن الكريم، اهتم بكل الجوانب التي تجعل من الحوار سبيلاً للوصول إلى الاستقامة، سواء اختص بالمتلقي أو الخطاب والظروف المحيطة بهما.

المناظرة:

لغة هي: « التأمل في الشيء ومعاينته»⁽³⁾.

¹- ينظر: محمود عثمان ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، أطروحة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس، (2005 م) ص: 128. 130.

²- أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، ص: 89.

³- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (نظر)، ج5، ص: 444.

المناظرة: « أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً »⁽¹⁾.

أما في المعجم الوسيط « المناظرة من ناظر فلان فلانا، صار نظيراً له وباحثه وباراه في المحاجة الشيء بالشيء، جعله نظيراً، وتناظر القوم: نظر بعضهم إلى بعض، وفي الأمر تجادلوا وتراضوا... والمناظر المجادل بالمثل »⁽²⁾.

فهذه المعاني اللغوية تحيل إلى أن المناظرة تكون بين اثنين، أو بين فريقين، ويكون فيها المتناظران على درجة متقاربة من العلم والمكانة.

اصطلاحاً :

المناظرة هي: « النظر من جانبين في مسألة من المسائل، قصد إظهار الصواب فيها »⁽³⁾.

« المناظرة هو من كان عارضاً أو معترضاً، وكان ل عرضه أو اعتراضه أثر هادف، ومشروع

في اعتقادات من يحاوره، سعياً وراء الإقناع والاقناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد محاوره »⁽⁴⁾.

بناء عليه، فالمناظرة تكون بطرح كل من الطرفين لوجهة نظرهما، بحيث تكون منطقية ومشروعة لدى كلا الطرفين، سعياً منهما إلى إظهار الحق والصواب، بإقناع واقتناع من المتخاطبين دون عنجهية، فالهدف هو تجلي الحقائق لا الغلبة لمن تكون.

¹ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، مادة (نظر)، مج14، ص: 292.

² - أنس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، مادة (نظر)، ج2، ص: 932.

³ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، (2000 م)، ص: 46.

⁴ - هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة ماجستير في الأدب

العربي ونقده، جامعة ورقلة، (2002، 2003م)، ص: 63.

استراتيجية الخطاب الإقناعي القرآني:

لقد ارتبطت إستراتيجية الإقناع بالخطاب، ذلك أنها تستعمل من أجل تحقيق أهدافه وتتفاوت تبعاً لتفاوت حقله ومجالاته، وهي إستراتيجية تتخذ لأسباب عدة أهمها :

- لها تأثير تداولي أقوى في المتلقي، ونتائج ثابتة ودائمة ذلك أنها تنبع من حصول الإقناع دون فرض أو قوة، باعتبار أن إقناع المتلقين هو هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه .

- استعمال الحجاج باعتباره شرطاً من شروط الإقناع، إذ لا بد من استعمال السبل الاستدلالية المتنوعة، التي تجرنا إلى تحقيق الاقتناع.

- الرغبة في تحصيل الإقناع، خاصة إذا كان للمتكلم سلطة تخوله استعمال استراتيجيات أخرى حتى يكون للمتكلم سلطة مقبولة يستطيع من خلالها إقناع المتلقي .

- أن تحقق نتائج تربوية، إذ تستعمل كثيراً في الدعوة، وهو ما فعله الأنبياء عند محاجة أقوامهم من أجل إقناعهم، بالدخول في الدين، لذلك كانت إستراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم، وأقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وقد استعملت هذه الإستراتيجية عند العرب منذ العصر الجاهلي، في المنجزات الخطابية وكذا المنافرات القبليّة، ثم اتسعت في عصر الإسلام وتبلورت في كثير من العلوم، كعلوم الفقه والكلام وعلوم اللغة، كما كان للإقناع جانباً مهماً في المحاضرات والندوات والمناقشات، إذ أصبح الإقناع مطلباً أساسياً، يدور بين الأشخاص الذين تختلف توجهاتهم سواء الدينية أو الفلسفية وغيرها⁽¹⁾، ومن هنا يمكن القول أن للإقناع أهمية بوصفه هدفاً واستراتيجية.

لقد عمل القرآن الكريم على بث الوسائل الهامة في آياته، حتى يجعل منه خطاباً إقناعياً بامتياز بمخاطبته العقل البشري من خلال استراتيجيات محددة وأساليب معينة، لذلك نجد هذه

¹ - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقارب لغوية تداولية، ص: 449.

الإستراتيجيات تركز أساسا على ما يمتلكه الإنسان من استعدادات نفسية، تجعله يقبل هذه العقيدة ضمن مجتمع يتأثر بأفكاره وثقافته، محاولا التغيير بالإقناع لا بالإكراه .

إستراتيجية الترغيب والترهيب :

لقد قامت هذه الإستراتيجية في القرآن الكريم على محاولة تغيير البناء النفسي للفرد، بإثارة حاجياته ودوافعه واتجاهاته، كما قامت على إثارة توقعات المتلقي، فقد جعل القرآن الكريم « من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس»⁽¹⁾، فكثيرا ما نجد في القرآن الكريم آيات تجمع بين الترغيب والترهيب مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ إِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة، الآية 278-279]، إذ جاءت هذه الآيات لترهيب الناس من أكل الربا فالمؤمن يتجنب الربا خوفا من الله وتقواه، كما تؤكد الآية الثانية إعلان الله الحرب على المخالفين أي المتعاملين بالربا، فلا شك أن إعلان الحرب، إنما هي حرب على الأعصاب والقلوب وعلى البركة والخير، وحرب على السعادة والطمأنينة، لا حرب على القتال⁽²⁾، إذ نجد في الآية الأولى ترغيب في تقوى الله والدعوة لإجتناى الربا، أما الثانية ففيها ترهيب للمخالفين وهو ترهيب يزلزل قلوبهم.

وعليه يبقى استعمال آيتي الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني، من أهم آليات الإقناع التي قد تحمل المتلقي على الإقتناع.

آليات الإقناع:

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت (د.ط)

(1424هـ، 2003)، ص: 213.

² سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، مج1، ص: 331.

لكي نأثر في الآخرين، ونحملهم على التسليم بأفكارنا ومعتقداتنا، ونقنعهم بوجه الصواب فيها، أو نجاعتها للعمل وفقها لا بد أن نلجأ، إلى وسائل وأساليب مختلفة.

1- الآليات البلاغية : من الباحثين من قصر وظيفة البلاغة على الإمتاع دون الإقناع، غير أنه مع تطور الدراسات في هذا المجال أثبتت أن للبلاغة أثر بالغ في العملية التواصلية « إذا كانت للبلاغة من وظيفة فهي في رأي الإمتاع والإقناع وترقيق الوجدان وتهذيب السلوك »⁽¹⁾، ومن هنا فإن وظيفة البلاغة تتجاوز مجرد الإمتاع، وإنما تهدف أيضا إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه بطرق مختلفة، مستمدة من طبيعة فنونها.

أ- الاستدراج :

يلجأ المتكلم إلى أساليب يسعى من خلالها إلى استمالة المتلقي، بغية إقناعه بجلب اهتمامه للخطاب الموجه إليه، ولذلك « أفردت البلاغة فناً من فنونها إلى استمالة المتلقي بحسب حالته سُمي الاستدراج، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه أو بما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المتكلم بما يطلب منه، فيكون الاستدراج بأن يقدم المتكلم ما يعلم أنه يؤثر في نفس المتلقي من ترغيب وترهيب، ولأن أمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه»⁽²⁾، فالاستدراج يكون بالترغيب، كما يكون بالترهيب، للتأثير في المتلقي واستمالاته، وحمله على التسليم والاقناع.

أما "حازم القرطاجني" فلم يكتف بالاستدراج كوسيلة للإقناع، فأضاف التمويهات، وذلك يتضح في قوله « التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحكمة الحاصلة،

¹ مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت)، ص: 6.

² محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، (2006م)، ص: 297.

باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه، بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتدائها»⁽¹⁾.

ومن هنا فالتمويه قدرة تكتسب بالمراس على الخطابات، وهي الأخرى آلية يلجأ إليها الخطيب كضرب من ضروب الكلام لإقناع المتلقي، وقد ميز "القرطاجني" بين هاتين الآليتين بقوله: « التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطافه له، بتركيزه وتقريضه أو باطبائه إياه لنفسه، وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولاً عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول»⁽²⁾، والتمويهات تتم ب: (3)

- طي محل الكذب من القياس عن السامع.
- اغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة، بالمشابهة أو بالترتيب.
- وجود خلل في المادة اللغوية، والترتيب في القياس.
- الهاء السامع عن تفقد مواضع الكذب، بضروب من الإبداعات والتعجبات تشغله عن ملاحظة مواطنه في القياس.

ب - الاستعارة:

تعد الاستعارة أقوى ضروب المجاز، وأشدّها تأثيراً في قلب وعقل المتلقي، سامعاً كان أو قارئاً، وهي: « مجاز لغوي تكون فيه المشابهة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي»⁽⁴⁾.

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 64.

² - المصدر نفسه، ص: 64.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص: 64.

⁴ - الأزهري الزناد، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، (1992م) ص:

وبالعودة إلى التراث العربي، فقد نظر "الجرجاني" إلى الاستعارة على أنها وسيلة حجاجية غرضها الإقناع، والتأثير في المتلقي « فالاستعارة المفيدة تلعب دوراً أساسياً في البناء الشعري ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة، فهي لا تعدوا أن تكون تلاعباً بالألفاظ»⁽¹⁾.

فالاستعارة المفيدة حسب "الجرجاني" هي: الاستعارة التي يلجأ الشاعر إليها بغرض التصوير الفني، فهي استعارة متعة هدف الشاعر من استعمالها إظهار تمكنه من اللغة، في حين أن الاستعارة غير المفيدة هي التي يوظفها الخطيب في خطبه لإقناع الخصم، فعارة " التلاعب بالألفاظ " تحيلنا إلى السفسطائيين، إذ كانوا يتلاعبون بالألفاظ لاستمالة المتلقي وإقناعه، بحجج واهية تظهر قدرتهم على الجدل سواء أريد بها حق أو باطل⁽²⁾.

وبذلك فالاستعارة عند "الجرجاني" هي انزياح استعمال اللفظ، من معناه الأصلي إلى معنى آخر، وذلك لغرض حجاجي، فهي بهذا المنظور تعد مقوماً حجاجياً، هدفه الإقناع بتغيير الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي.

أما " أبو بكر العزاوي" فقد ربط بين الاستعارة والسلم الحجاجي، وعدّ الأقوال الاستعارية أكثر تأثيراً وإقناعاً من الأقوال العادية⁽³⁾، لذلك نجدتها بكثرة في القرآن الكريم ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان، الآية 29].

فقد وضع " ابن قتيبة " أن « العرب إذا أرادت تعظيم مُهْلِك رجل عظيم الشأن، رفيع المكان عام النفع كثير الصنائع تقول: أظلمت الشمس له وكسف القمر لفقده وبكته الرياح والسماء والأرض

¹ - الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، ط2، (د. ت)، ص: 92. 93.

² - ينظر: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، الجنة للتأليف والترجمة والنشر، ط5، (1964 م)، ص: 99.

³ - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 102.

«(1)، فاستعار لفظ بكت للسماء والأرض وهي في عرف استعمال العرب للمبالغة على المصيبة والبكاء وهي من صفات الكائنات الحية لا الجماد.

ج-التكرار:

يعد التكرار سمة أسلوبية يعتمدها المتكلم للتأثير في المتلقي، فهو آلية حجاجية إقناعية والقصد من التكرار هنا، ليس التكرار الذي يحدث خللا في البناء وإنما « التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة... باعتباره أحد ميكانيزمات عملية الإنتاج، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميته»(2).

نفهم من ذلك أن هناك تكرار يحدث لهلهة في النص ولا طائل منه، بخلاف التكرار الذي يدعم الخطاب، ويعمل على تأكيد المعنى في ذهن المتلقي، والتأثير فيه سواء كان هذا التكرار في اللفظ والمعنى، أو في المعنى دون اللفظ، ذلك أن « الكلام إذا تكرر تقرر» (3) في النفس وكان أبلغ أثرا، وما عمد القرآن الكريم إليه، إلا من أجل تأكيد أحكامه، وترسيخها في الأذهان فقد وسم القصص القرآني بهذه السمة، نظرا للدور الإقناعي الذي يلعبه التكرار، ذلك أن « عادة العرب في خطاباتها إذا أجهمت بشيء إرادة لتحقيقه، وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررت توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحکم الحجة في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد (4)

¹ - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، التأويل مشكل القرآن، ص: 168.

² - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، ط1، (2007 م)، ص: 48.

³ - الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د.ت)، مج3 ص: 09.

⁴ - الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، مج3، ص: 10.

يتبين من هذا أن خطابات العرب على اختلاف أغراضها في اعتماد التكرار، إلا أن الهدف واحد هو ترسيخ وتأكيد المعاني في النفوس وتقريرها، وذلك يحول دون تناسيها مع طول العهد بها، فتكرار القصص القرآني مدعة إلى تثبيتها في النفوس، لأخذ العبر منها وما قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود الآية 120]، إلا دليل على اعتبار التكرار، مقام الحجة في التأثير على المتلقي بالأداة المقنعة.

د- التوكيد :

يعد التوكيد من الأساليب البلاغية، التي تعمل على تثبيت المعنى في النفوس بأشكال مختلفة ذلك « أن التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإمالة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد»⁽¹⁾، فالتوكيد وسيلة للتثبيت والتيقن مما يؤكد الكلام في نفس المخاطب، ويجلي الشوك والشبهات عنها.

ويكون التوكيد بالحروف وبالألفاظ، فمنها ما تدخل على الجملة مثل إن واللام، والتوكيد بأحرف الزيادة «كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام الجملة مرة أخرى»⁽²⁾، حيث يكون تكرار الحرف كبديل عن تكرار الجملة بعينها، فهنا تدخل قيمة الإيجاز كخاصية من خصائص اللغة العربية وهذا ينطبق على سائر أدوات التوكيد.

كما نجد التوكيد بالجملة الاسمية، مثال ذلك قوله تعالى: على لسان المنافقين محدثا المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة، الآية 14].

¹ - ابن العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، (1402هـ، 1982م) ج2، ص: 176.

² - السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د.ط.)، (د.ت)، ص: 196.

وقد بين "ابن عاشور" أنّ «المنافقون حينما خاطبوا المؤمنين خاطبوهم بالجملة الفعلية "آمنا" وبعد أن خلو إلى شياطينهم خاطبوهم بالجملة الاسمية المحققة وإن المؤكدة، وهذا التأكيد بأن الجملة الاسمية يفيد ثباتهم في الكفر والغي والضلال، لئلا يشك شياطينهم في أنهم آمنوا عندما يلتقون بالمؤمنين ويجالسوهم، والإقرار بإيمانهم للمؤمنين يعد نفاقاً وتكلفاً»⁽¹⁾.

ومن هنا فالتوكيد بأساليبه المتنوعة وإن لم يسعنا المقام لذكرها كلها والتفصيل فيها، فإنها تؤدي خدمة كبيرة في تثبيت المعاني، وإقناع المتلقي خاصة في القرآن الكريم، الذي اتخذها أداة لإيقاظ النفوس من الغفلة، والشرك الذي أعمى بصيرة الكافرين وهدايتهم إلى سبيل الحقيقة الناصعة.

هـ- التمثيل:

لم يفرق "ابن الأثير" بين التشبيه والتمثيل، موضحاً ذلك بقوله: «وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع»⁽²⁾.

اعتماداً على قول "ابن الأثير" فسنورد التمثيل والتشبيه على أنهما شيء واحد، فالتمثيل هو: «إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما»⁽³⁾.

أما "ابن رشيق القيرواني" فقد بين أنّ «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبة مناسبة كلية لكان إياه ... فلو قلنا "خُدُّ كالورود"، إنما أرادو حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك»⁽⁴⁾.

¹- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص:199.

²- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة، مصر، ط2، (د.ت)، ص:167.

³- الألمعي زاهر عوض، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق، الرياض، ط3، (1404هـ، 1983م)، ص:78.

⁴- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار صادر، بيروت، ط1، (2003م)، ص:241.

ولذلك يعد التمثيل من أبرز ألوان البيان، التي تحوي على طاقات إبلاغية تأثيرية وشحنات انفعالية تثير المتلقي، ولم يتخذ القرآن الكريم التمثيل وسيلة للتعبير إلا سبيلا للإقناع، وذلك لما فيه من خصائص فنية، وبلاغية متميزة تجمع جمال التصوير والتعبير.

و- الاستفهام:

يعد الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً وأهمية ويراد به « طلب الإفهام »⁽¹⁾ وله عدة أدوات تتميز كل واحدة منها بالسؤال عن جهة من جهات الكلام، وقد تعرض المفسرون لأدوات الاستفهام في القرآن الكريم فأظهروا معانيها الأساسية والفوارق فيما بينها، والمعاني البلاغية التي تخرج إليها، ونوهوا بأهميتها في الكشف عن أسرار القرآن، وخصوصياته في استعماله هذا الأسلوب، إذ تتنوع فوائده في التعبير والإثارة والتأثير في المتلقي.

وما ورود أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، إلا دليل على الطاقات التبليغية والإقناعية الكامنة في أشكاله المتنوعة، وهذا ما أكده "الألمعي" في كتابه مناهج الجدل في القرآن الكريم « اعلم أن القرآن لا يستدل في مجادلاته بمقدمة مجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية المعروفة عند أهل المنطق، بل يستدل بالقضايا والمقدمات، التي يسلمها الناس لتكون دعوة للانقياد للحق، ومجانبة الباطل ولا شك أن الاستفهام استشارة وبيان لما في النفوس، ليكون الإلزام أبلغ وأقوى »⁽²⁾.

فالاستفهام آلية حجاجية فعالة باعتباره أقوم المسالك، للتنبية إلى الحقائق، وإثارة الإفهام إليها وأشد وقعا على كل مرتاب جاحد للدين.

ز- الالتفات :

¹- السيوطي جلال الدين، الإقناع في علوم القرآن، ص: 294.

²- الألمعي زاهر عوض، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص: 76.

لغة: في المعاجم اللغوية العربية نجد، أن لفظة الالتفات مشتقة من الفعل الثلاثي⁽¹⁾: لفت نقول لفت وجهه عن القوم: صرفه، وتلفت إلى الشيء، والتفت إليه صرف وجهه إليه، لفته لفتا يلفته لفتا: لواه على غير جهته، ولفته عن الشيء يلفته لفتا صرفه.

لم يختلف تعريف "ابن أثير" له عن التعريف اللغوي، إذ يقول فيه: «وحيقته مأخوذة من التفتات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض»⁽²⁾.

فالالتفات بهذا المعنى هو العدول والانحراف من سياق إلى آخر، وقد سماه "ابن أثير" بالشجاعة العربية «لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه»⁽³⁾.

أما "حازم القرطاجني" فقد أفرد له بابا في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وقدم تصنيفا للالتفات، فذكر أن هناك انعطاف التفاتي، وانعطاف غير التفاتي، فالانعطاف الالتفاتي هو: «أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف من إحداها إلى الأخرى، انعطافا لطيفا من غير واسطة، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول»⁽⁴⁾.

أما الانعطاف غير الالتفاتي: «يكون بواسطة بين المنعطف منه والمنعطف إليه يوجد الكلام بها مهياً للخروج من جهة إلى أخرى، وسبب يجعل سبيلا إلى ذلك يشعر به قبل الإنتهاء إليه»⁽⁵⁾.

¹ - ابن منظور جمال الدين، لسان العرب مادة (لفت)، مج 13، ص: 215 ، 216.

² - ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص: 167.

³ - المصدر نفسه، ص: 168.

⁴ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 315.

⁵ - المصدر نفسه، ص: 315.

وعليه فالانعطاف الالتفاتي يكون، بالانتقال أو بالإحراف من منعطف إلى آخر دون واسطة، فلا يشعر المتلقي بذلك، إلا إذا كان عارفاً باللغة واستعمالاتها، فهي تنم عن براعة المتكلم من اللغة نفسها، في حين أن المنعطف غير الالتفاتي هو: الذي يكون فيه الانعطاف، بواسطة تجمع بين المنعطف والمنعطف إليه، فهو التفات ظاهر للمتلقي بسهولة إذا صح التعبير، ويوضح "طبل حسن" سبب تسمية الالتفات بالشجاعة العربية بقوله: « الشجاعة في هذا المصطلح لا تعني شجاعة اللغة العربية بالالتفات، بل شجاعة الالتفات في تلك اللغة، التي تقوم على مخالفة المتوقع والتحول من نمط لغوي إلى آخر، ايقاظاً للسامع عن الغفلة، وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فالسامع ربما ملّ من أسلوب فنقله إلى أسلوب آخر تنشيطاً له في الاستماع واستمالة له في الإصغاء إلى ما يقوله».⁽¹⁾

فالالتفات بهذا الوصف، وسيلة لكسر الملل، والرتابة التي قد تصيب المتلقي، وتحول دون تفاعله مع الخطاب، وبالتالي فالالتفات يعمل على جلب الانتباه، ودفع المتلقي إلى التركيز على الخطاب وإمعان النظر فيه والعقل في تدبره.

2- الآليات اللغوية:

يقوم النظام اللغوي في أي لغة تقريباً، على مجموعة من الأنظمة الفرعية، والظواهر اللغوية التي تحتاج إلى الدراسة والبحث، فهي عوامل مهمة تساعد على فهم المعنى، بانتظام المفردات والجمل في الخطاب، وهذا حال اللغة العربية.

أ- الروابط اللغوية:

هي الأدوات والوسائل التي بها يتم الربط بين أجزاء الكلام في الخطاب « فالعربية تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية حين تخشى اللبس، في فهم الانفصال بين معنيين أو اللبس في فهم الارتباط بين

¹ - طبل حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، (دون دار نشر)، (د. ط)، (1990 م)، ص: 55.

معنيين، والواسطة اللفظية، إما أن تكون ضميراً بارزاً منفصلاً، أو متصلاً، وما يجري مجراه من العناصر الإشارية، كالاسم الموصول، واسم الإشارة، وإما أن تكون أداة من أدوات الربط⁽¹⁾.

فالروابط أدوات تساعد على، فهم مواطن الفصل ومواطن الوصل، وهي في ذلك ما بين أدوات لفظية نحوية تركيبية، كالضمائر، وحروف العطف والجر وغيرها من الأدوات، فهذا الربط بين أجزاء الجملة، وبين الجملة والجملة، يؤدي إلى ترابط الخطاب أو النص، فيعطينا نسيجاً متماسكاً يحمل دلالات تؤثر في عواطف المتلقي، فالروابط تحقق التواصل بين المتكلم والمتلقي فدورها يتجاوز مجرد ضم أجزاء الكلام بعضها إلى البعض، لغرض إخباري فحسب، بل تضطلع بقيمة حجاجية، وذلك بالترتيب بين ملفوظين حسب قوة الحجة وضعفها.

ويعد "عبد القاهر الجرجاني" من الذين اهتموا بدور أدوات الربط، من خلال فكرة التعالق ويبين ذلك بقوله: «لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب فروقه ... فينظر في الخبر ... وفي الشرط ... وفي الحال ... فيعرف لكل ذلك مواضعه ويحيء به حين ينبغي له ... ينظر في الحروف التي تشترك في المعنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ... وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف مواضع الفصل فيها من مواضع الوصل»⁽²⁾.

فلكل لفظ أو حرف موضعه الذي يليق به، حتى يؤدي الدور المنوط به في الخطاب، وقد اهتم المفسرون بدور الروابط في الخطاب القرآني، وتناولوا قضية الإعجاز في نظمه، ويعد "الباقلائي" ممن لفته حسن نظم القرآن، فجمع في استعمالاته بين النظم والتأليف، وبديع الرصف في تحليله سورة النمل «ثم انظر فيها آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفها من عجيب النظم بديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية، ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى

¹ - مصطفى حميدة، الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، (1997 م)، ص: 195، 196.

² - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، قراءة وتعليق: محمود شاكر، القاهرة، مصر، ط5، (2004 م) ص:

باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا بين بديع التأليف و«بليغ الترتيل»⁽¹⁾، فقد بين أن إعجاز القرآن يعود إلى براعة النظم وحسن تآلف الكلم مع بعضه البعض، بمراعاة الفصل والوصل بين كل قصة وقصة، مما يخلق ترابطا في موضوعها.

كما أشاد " الباقلاني " بدور الروابط في الجمع بين أطراف أجزاء الكلام المتباعدة، بحيث تصبح دلالتها متقاربة، ببراعة حسن ضمها إلى بعضها البعض، وقد وضع ذلك من خلال بحثه في نظم القرآن الكريم « نجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تآلفا من الشيء المؤلف في الأصل، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد ومن أعدار إلى أنذار مختلفة، لكنها تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب بعليّ الضم »⁽²⁾.

فترابط الجمل بعضها ببعض، مشكّلة نصا منسجما، تحكمه علاقات دلالية تداولية يمكن المتلقي من فهم ذلك النص، والتفاعل معه، بالتأثر بالقضايا المحملة فيه، وفقا للتربط المحكم والضم الحسن وذلك ما يجعل النص مقبولا عند المتلقي، وقد يدفعه ذلك إلى الاقتناع بالأفكار المطروحة فيه.

ب-العوامل الحجاجية:

هي إحدى المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية للغة، وذلك لاشتمال اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج « إذ أنها توجه الملفوظ نحو نتيجة واحدة وتحقق غاية المتكلم وهدفه في إقناع المتلقي وتسليمه بأطروحاته »⁽³⁾، إذ تعد العوامل الحجاجية أدوات لسانية تتسم بطبيعة تفاعلية لكون « القيمة الحجاجية لقول ما، ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها

¹ - الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، (د.ت) ص: 190.

² - الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، ص: 191.

³ - ألفاف إسماعيل أحمد الشامي، العوامل الحجاجية في شعر البردوني، النفي نموذجا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ج1، العدد 43، (12 ذي الحجة 1432 هـ، 30 أيلول 2010 م)، ص: 421.

فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير وصيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، إضافة إلى محتواها الإخباري وتوجيه المتلقي هذا الاتجاه أو ذاك⁽¹⁾.

وبالتالي فالعوامل الحجاجية تعمل على توجيه الخطاب من إخباري إلى حجاجي يهدف إلى إقناع المتلقي ذلك أنها « عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، هي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل »⁽²⁾.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن العوامل الحجاجية أداة لتحقيق وظائف اللغة، أبرزها توجيه الحجاجي للخطاب وتقويته، والحد من غموضه وتعدد نتائجه، وتخليص المتلقي من كثرة التأويلات التي قد تصادفه في خطاب ما، للوصول إلى نتيجة بعينها.

3- الآليات المنطقية :

تعد الآليات المنطقية أداة إقناع إذ إنها أداة التفكير السليم، ووسيلة للعصمة من الخطأ والزلل وهي مستوعبة من الفكر اليوناني الفلسفي، ومن هذه الآليات نجد:

أ- الاستدلال :

يعد من الآليات المنطقية التي يستعملها المتكلم في طرح موضوع ما، بهدف الإقناع، إذ أنه يقدم الدليل ليقنع المتلقي، ويقوم الاستدلال على: « تسلسل أحكام عدة مترتبة بعضها على بعض بحيث يكون الأخير منها متوقفا على الأول اضطرارا، فكل استدلال إذن انتقال من حكم إلى آخر والحكم الأخير لا يكون صادقا إلا إذا كانت مقدماته صادقة »⁽³⁾.

وقد اتخذ القرآن الاستدلال سبيلا لإقناع الجاحدين بالدين لردهم إلى الصراط السوي وذلك بالحجج والأدلة الدامغة لهؤلاء الأقوام الكافرة، وكان ذلك على لسان رسله وأنبيائه وقد ذكر الأملعي

¹ - المرجع نفسه، ص: 423.

² - الناجح عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، (2011 م)، ص: 21.

³ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، (د. ط)، (1982 م)، ص: 67.

أنَّ « مجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضل المخالفون... يعطي قوة فوق قوته الذاتية، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين، من جهة قوة الدليل الذاتية ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه فهذا يكون قوة إضافية وفوق ذلك فيه إلزام وإفحام، إذ يزعمون أنهم أتباعه»⁽¹⁾، وهكذا اتخذ القرآن الكريم القصص سبيلا للاستدلال على ربوبيته وألوهيته، من خلال قصص جدال الأنبياء مع أقوامهم لإظهار الدين الحق « فالخطاب القرآني لا يقص قصة إلا ليواجه بها حالة، ولا يقرر حقيقة إلا ليغير بها باطلا (...). إنه لا يقصص قصصه مجرد الإمتاع الفني»⁽²⁾.

ب- القياس المضمّر - الخطابي - :

هو قياس حذف منه إحدى المقدمات، ذلك أنها موجودة في ذهن المخاطب محذوفة من كلامه « هو آية من آيات الذهن البشري تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشترك بناء على أن القياس يقوم على التجربة التي ينطلق منها المتكلم، لتشكيل صورة استدلالية»⁽³⁾، فالقياس المضمّر هو القياس الخطابي الذي يقوم على الاحتمالات، ومن أمثله « قياس الأصغر على الأكبر والخاص على العام»⁽⁴⁾.

وقد ورد كثيرا هذا النوع من القياس، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران [الآية 59] .

فالأهون أن يولد الإنسان من رحم ولو بدون أب، من أن يولد من تراب، كما أن الإعادة أهون من الخلق الأول.

¹ - الألمعي زاهر عوض، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص: 37.

² - قدور عمران، تداولية الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، (200، 2008م) ص: 83.

³ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص: 91.

⁴ - محمد لعمرى، بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2 (2002م)، ص: 71.

إستراتيجية الإقناع في خطابات إبراهيم - عليه السلام - :

لقد جاء "إبراهيم عليه السلام" بعقيدة جديدة تدعوا إلى توحيد رب الكون، وهي عقيدة مخالفة عما كان سائدا في مجتمعه، إذ كان قومه يعبدون آلهة غير الله، ومنهم آزر الذي كان صناعا للأصنام وعابدا لها، فكان من أولى مهمات "إبراهيم" - عليه السلام - في الدعوة إلى الله « أن يبدأ بدعوة أبيه، لأن بقاءه على الكفر يترك نقطة ضعف في موقفه، وقد يخلق له مصاعب داخلية تعطل خطواته أو تجلب له مشاكل غير منتظرة»⁽¹⁾، فدعوة الناس إلى طريق الحق تستوجب أن يبدأ بأقرب الناس إليه أباه آزر، وقد ذكره القرآن الكريم بأبوته "لإبراهيم" دون ذكر لاسمه إلا في موضع واحد من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام، الآية 74]، فذكر متولي "الشعراوي" أن هذه الآية أحدثت إشكالا « فظن البعض أن آزر هو أبو إبراهيم الحقيقي الصلي، وهذا القول يتعارض مع الحديث النبوي الشريف، الذي يوضح طهارة أصل النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "أنا خيار من خيار ما زلت أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»⁽²⁾.

على ضوء ما سبق، فإن أصول النبي - صلى الله عليه وسلم - طاهرة إلى آدم أبو البشرية فهو طاهر متزوج بطاهرة، فكيف يكون كافر مثل آزر من آباء "محمد- صلى الله عليه وسلم" وقد قال الله في حقه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِثْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة، الآية 114] .

وقد أشار "الشعراوي" في معرض كلامه، أن القرآن الكريم تكلم عن الأبوة الصلبية المباشرة والأبوة غير المباشرة، في الجد والعم « فسمى الجد أبا والعم أبا، لأنه يشترك مع أبي في الجد، فله واسطة يستحق بها أن يسمى أبا»⁽³⁾، وقد ورد نص في ذلك قوله تعالى: ﴿أُمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

¹ فضل الله محمد حسين، الحوار في القرآن الكريم، دار المنصوري للنشر، الجزائر، (د. ط)، (د. ت)، ج2، ص: 54 .

² الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي- الخواطر-، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، (1997 م)، ج15، ص: 9094 .

³ المصدر نفسه، ج15، ص: 9095 .

حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿133﴾ [البقرة، الآية 133] ، وبذلك عد "إسماعيل" من آباء "يعقوب" وهو عمه، وبناء على ما سبق، فإن القرآن الكريم لو أراد بآزر الأب الصلي "إبراهيم"، لقال "فقال لأبيه" في كل الآيات « أما بقوله مرة واحدة فقال لأبيه آزر فهذا يعني أن المراد عمه، لأنه لا يؤتى بالعلم بعد الأبوة، إلا إذا أردنا العم، كما نقول نحن الآن حين نريد الأبوة الحقيقية، جاء أبوك هكذا مبهمه دون تسمية، وفي الأبوة غير الحقيقية نقول جاء أبوك فلان»⁽¹⁾، فهذا دليل على أن آزر ليس الأب الحقيقي الصلي "إبراهيم"، وإنما هو عمه وبذلك يسلم "الرسول - صلى الله عليه وسلم" - لطهارة نسبه إلى "آدم - عليه السلام" - .

حوار إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه :

وقع خطاب "إبراهيم" - عليه السلام - مع أبيه آزر في سورة مريم، بعد أن نوه الحق سبحانه وتعالى بالأنبياء والرسل الذين حملوا رسالة التوحيد إلى أقوامهم، وكان "إبراهيم" - عليه السلام - جامعا بخصائص الصديقين « فقد بلغ الغاية في التصديق، بما يأتي من الحق تبارك وتعالى، فهو يطيع ويدعن ولا يناقش»⁽²⁾، فكان ذلك حجة لذكر الله له "لمحمد - عليه الصلاة والسلام -" بقوله: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم الآية 41].

فقد وصف بالصديق، لفرط صدقه في الامتثال لما يكلفه الله تعالى به، من ذلك مبادرته لذبح ولده "إسماعيل - عليه السلام -"، طاعة لأمر الله في وحي الرؤيا « وتأکید هذا الخبر بحرف التوكيد بإقحام فعل الكون للاهتمام بتحقيق زيادة في الثناء عليه، وجملة إنَّه كان صديقا نبيا، واقعة موقع التعليل، للاهتمام بذكره في التلاوة وهذه جملة معترضة بين المبدل منه والبدل، فإن "إذ" اسم زمان وقع بدلا من إبراهيم، أي أذكر ذلك خصوصا من أحوال إبراهيم، فإنه أهم ما يذكر فيه لأنه مظهر

¹ - الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر -، ج15، ص: 9096

² - أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت)، ج9، ص: 4645.

صديقيته»⁽¹⁾، فانتهج "إبراهيم - عليه السلام -" منهج الصديقين والأنبياء في الدعوة إلى الله، فالأولى صفة ذاتية، تتمثل في الإذعان للحق قولاً وعملاً، أما الثانية "النبوة"، فهي حقيقة شرعية تكليفية من عند الله - سبحانه وتعالى - .

لقد افتتح "إبراهيم-عليه السلام-" خطابه مع أبيه آزر بالنداء في أربع مواضع، بقوله يا أبت «مع أن الحضرة مغنية عن النداء، قصداً لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه»⁽²⁾، وذلك بغية التأثير في أبيه، وإقناعه بصحة دعواه، فاستعمل يا أبت «إلا أن التركيب العربي يقتضي أن يقول يا أبي، إلا أنهم يحذفون ياء المتكلم ويعوضون عنها بالهاء، فلماذا؟ قالوا: لأن أبت لها ملحظ دقيق فهو أن يثبت أنه وإن كان أبا (...). إلا أن فيه حنان الأبوين: الأب والأم، فجاء بالهاء التي تشير إلى الجانب الآخر، لذلك نجدها لا تقال إلا في الحنانة المطلقة (يا أبت)، كما لو ماتت الأم مثلاً فقام الأب بالمهتمين معا و عوضاً الأبناء حنان الأم المفقود»⁽³⁾.

تمثل الخطاب كاملاً، حتى يتم تحديد البنية اللغوية ومضمونها، لتبيان الإستراتيجية التي اعتمدها "إبراهيم - عليه السلام -" لإقناع آزر بعقيدة التوحيد. ح

﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جِئْتَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِفُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَرِلُكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)﴾

[مریم، الآیة 41-48]

¹- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 112 .

²- المصدر نفسه، ج16، ص: 113.

³- الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر -، ج15، ص: 9097.

السياق الخطابي لدعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه :

لقد ساق "إبراهيم" - عليه السلام - دعوته مساق الاستفهام المستدني، لا مقام الأمر المتعالى سائلا أباه سؤال المستفهم في سياقه، منبها له بأرفق تعبير يا أبت « ابتدأ بنداؤه وهو نداء المحبة العاطفة المقربة، وذلك شأن الداعي الكامل يتدئ بما يقرب ولا ينفّر »⁽¹⁾، فمناداة "إبراهيم" - عليه السلام - " لأبيه بيا أبت، كان يقصد من ورائها التقرب من أبيه، والتأثير فيه، ليسم خطابه بلغة حميمية تحيل على علاقة الأبوة والبنوة، فقد « علم إبراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير، كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الآباء وأبنائهم، فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة استفهام »⁽²⁾، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ ﴾.

فدعاه إلى الهدى دون أن يصرح بظلاله، بل احتج عليه بأبلغ الحجج، وبين العلة في فساد ما يعبد من دون الله، وكان في ذلك متمسكا بأداب الحوار، والدعوة برفق، فوصف معبوده، وهو الصنم بثلاثة صفات سلبية، وهي حجج عقلية « الوصف الأول أنه لا يسمع، وكيف يعبد من يسمع من لا يسمع، فهو أقل كمالا منه وهو عاجز لأن عدم السماع عجز الوصف الثاني: أنه لا يبصر وأنت تبصر ومن يبصر أكمل مما لا يبصر، فكيف تعبد هذا الذي ينقص عنك وأنت خير وأفضل، الوصف الثالث: أنه لا يدفع عنه ضررا، ولا يجلب له نفعاً، لأنه فاقد لصفات الله تعالى التي تكون بها القدرة الإلهية »⁽³⁾، فالأوصاف الثلاثة التي احتج بها "إبراهيم" - عليه السلام - " عدم السمع، عدم البصر وعدم الضرر و النفع" تجعل من معبود آزر قاصر عن مقام استحقاق الألوهية، بل الإنسانية بل حتى الحيوانية، فكيف يعبد من لا يبصر حال عبادته ولا يعلم حاجاتهم ولا يسمع مناجاتهم، ولا ينفعهم ولا يرفع عنهم ضرر.

1 - أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج9، ص: 4646.

2 - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 113.

3 - المصدر السابق، ج9، ص: 4647.

فالاستفهام هنا كان يهدف من ورائه تبيان الضلال الذي كان عليه أباه، بتقديم الحجج المحسوسة، وذلك بغية إقناعه للنظر فيما يعبد « إذ يبدو من أسلوب إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه أدب الدعوة، حيث قدم الموعدة على سبيل الاستفهام، حتى لا يشعر أباه بالنقص أو يظهر أنه أعلم منه »⁽¹⁾، ففي أسلوب "إبراهيم - عليه السلام -" ما يدفع بالعقل إلى الإذعان، والتصديق بصحة ما يدعوا إليه، ولم يكتفي بذلك، فانتقل إلى دفع ما يخالج عقل آزر عن تلقي الإرشاد منه بقوله: ﴿ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾.

فأعاد نداءه بوصف الأبوة، تأكيداً لإحضار ذهنه واستمالة قلبه، إذ تعفف عن ادعاء العلم الكامل، فقال (من العلم)؛ أي بعض العلم، وابتعد عن رمي أبيه بالجهل، فجعل نفسه بذلك كالرفيق له، حتى لا يكون مستعلياً عليه في دعوته، فاتسم خطاباه بالرفق واللين، فكان هذا « النداء من ذلك الابن البار بأبيه، ثنى عليه السلام بدعوته إلى الحق مترقفاً متلطفاً، فلم يُسَمَّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي »⁽²⁾.

فبعد أن بين له فساد عبادته للأصنام، طلب منه إتباعه ذلك أنه يملك بعض العلم، وهو كفيل بأن يهديه إلى الطريق السوي، ثم عمد بعد ذلك إلى نهيهِ عن عبادة الشيطان ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾، مكرراً تودده وتلففه، بندائه يا أبت وتأكيداً لما أفاده النداء الأول والثاني « لم يقل في البداية لا تعبد الشيطان، بل أحر هذه الحقيقة إلى نهاية المناقشة، وبدل أن يقول الشيطان حلل شخصيته وأبان عناصره، وكشف حقيقته »⁽³⁾، فوسوسة الشيطان هي التي تدفع بالإنسان إلى الضلال « فذلك من تسويل الشيطان، فمن عبد الأصنام عبد الشيطان »⁽⁴⁾، وعبادة الشيطان أنه

¹ - الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي، - خواطر -، ج15، ص: 9097.

² - أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج9، ص: 4648.

³ - المصدر نفسه، ج15، ص: 9097.

⁴ - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 115.

أطاع غوايته التي توعد بها عباد الله وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [ص، الآية 82-83].

وقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ ، جملة تعليل، « للنهي عن عبادته وعبادة أثار وسوسته، بأنه شديد العصيان للرب الواسع الرحمة، وذكر وصف عصيًا، الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل "كان" للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه، وأنه متمكن منه... ولذلك أُختير وصف الرحمان من بين صفات الله تعالى، تنبيها على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله» (1).

فعصيان الشيطان للرحمان توجب خروجه من رحمته، ومن اتبعه فقد ظلم نفسه، وإظهار اسم الشيطان زيادة للتنفير منه، « لأن في ذكر صريح اسمه تنبيها إلى النفرة منه، ولتكون الجملة مو؛: عظة قائمة بنفسها» (2)، فقد تجنب "إبراهيم" - عليه السلام - الإضمار، فذكر الشيطان حتى يكون حجة ودليلا قاطعا على ظلال أبيه، وفساد عبادته وتنبيها له من أن يُجرم من رحمة الله، لإتباعه الشيطان.

أما تعبير الخوف في قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ استمرار في الحنان والرفق، مفرطا في شففته على أبيه، حرصا منه على نجاته فقال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ﴾، و« هنا إشارات بيانية، إذ الظاهر إصابته بالعذاب المقرر للمشركين، وهو أن يدخل الجحيم، ولكنه عبر بالمس لا يريد التهويل على نفسه وعلى أبيه بأن سيصيبه العذاب لذلك الشرك» (3).

1 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 116.

2 - المصدر نفسه، ج16، ص: 117.

3 - أبو زهرة محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، ج9، ص: 4648.

فقد اتبع - عليه السلام - أسلوب الملائمة والرفق، في دعوته لأبيه فلم يستعمل ألفاظ التهويل، ولجأ إلى تعابير أقل شدة ووطأ على نفس أبيه، فلم يصرح بالعقاب الشديد اللاحق به كونه مشرك بالله، وذكر نتيجة شركه بأن يصبح وليا للشيطان في الدنيا وقرينه في الآخرة.

فمحاورة "إبراهيم - عليه السلام -" لأبيه نموذج فريد للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، إذ راعت مشاعر الأبوة، فرتب حججه ترتيباً طبيعياً، لا ينافي طبيعة النفس البشرية، إذ « لا تُجمع على المدعُو قسوة الدعوة، وقسوة أن يترك ما ألف، ويخرج منه إلى ما لم يألف، لذلك يقولون: النصح ثقيل فلا ترسله جبلاً، ولا تجعله جدم، وقالوا: الحقائق مرة فاستعبروا لها خفة البيان »⁽¹⁾، فإستراتيجية "إبراهيم" مبنية على حسن الحوار، وترتيب الحجج لاستمالة قلب أبيه، ودفعه إلى الاقتناع بعقيدة التوحيد.

وبعد أن بين "إبراهيم - عليه السلام -" لأبيه فساد عبادته، وهدم مذهبه بالأدلة والبراهين مورداً ذلك كله بالوعظ البليغ، والأدب الرفيع، أقبل عليه "آزر" بغلظة الكفر وفضاضة الجهل بقوله: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، فجاء رده في منتهى الجفاء، مكرساً لسلطوية الأب، متجاهلاً ومستصغراً لشأنه « وإضافة الآلهة إلى ضمير نفسه إضافة ولاية انتساب إلى المضاف لقصد تشريف المضاف إليه »⁽²⁾، فلم يكتف بالتوبيخ وأعقبه بالتهديد، بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا﴾، واللام في لأرجمنك « هي التي تكون في جواب القسم، وأكده بنون التوكيد الثقيلة، وهو تهديد بالقتل بأقصى أنواعه الضرب بالحجارة حتى الموت »⁽³⁾، بالرغم من هذا الجفاء والتهديد في الرد، إلا أن "إبراهيم - عليه السلام -" قابل غلظة أبيه بحكمة بقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، إذ دعا له بالسلامة استمالة لقلبه لعل ذلك

¹ - الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر -، ج15، ص: 9100 .

² - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 118.

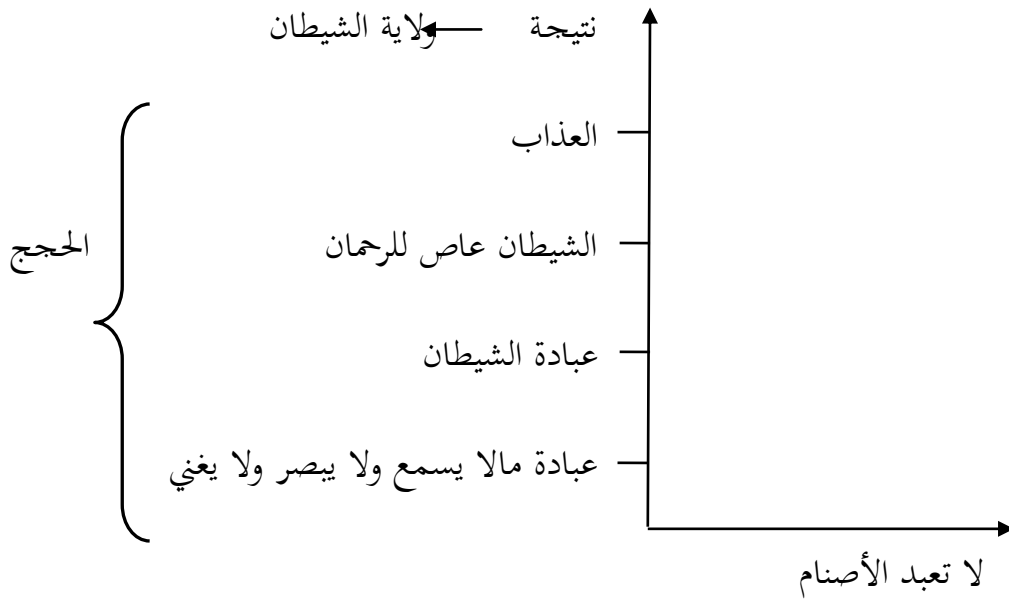
³ - المصدر نفسه، ج 16، ص: 118.

يؤثر فيه، وأقرنه بالاستغفار له في المستقبل، ذلك أنه متأمل رجوعه عن كفره، فلما يأس منه تبرأ منه وهجره وهذا جلي في قوله: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾.

لم يفلح "إبراهيم - عليه السلام-" في إقناع أبيه، رغم تلك الحجج والأدلة، وحسن الحوار ذلك أن تصلب أباه حال دون ذلك، فقد يكون المتكلم بليغا و فصيحاً ، و يكون نص الخطاب قمة في الإقناع والبيان، إلا أنه لا يحدث التأثير المطلوب، ذلك أن الهداية من الله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص، الآية 56].

السلم الحجاجي:

سبق وأن ذكرنا أن السلم الحجاجي يقوم على ترتيب الحجج، ترتيباً عمودياً، يكومن الحجة الأقل قوة إلى الأكثر قوة، فكان ترتيب "إبراهيم" - عليه السلام- لحججه على الشكل التالي :



رتب - عليه السلام - أقواله متبعا سلمية حجاجية، تبين التلازم الحاصل بين كل حجة وحجة، وصولا إلى النتيجة، فذكر أولا عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني، فهي حجة حسية تحيل على القصور الحاصل في تلك الأصنام، ثم بين بعد ذلك أن عبادة الأصنام موجبة لعبادة الشيطان، فهناك تلازم، فمن عبد الأصنام عبد الشيطان، وذلك سبب للعذاب كونه عاص للرحمان وبالتالي حالهما واحد، ذلك أنّ ولاية الشيطان أكبر من العذاب نفسه.

مناظرة إبراهيم - عليه السلام - لقومه:

وردت خطابات "إبراهيم - عليه السلام -" في سور مختلفة من القرآن الكريم، ذلك أنّ دعوته إلى التوحيد لقيت قلوبا جاحدة، وعقولا متحجرة، لا ترضخ ولا تقر بالحق بسهولة فكان عليه أن يغير كل مرة من أساليب الدعوة، لعل ذلك يكون أنفع معهم، بعد أن رأى تصميمهم على الكفر، فلنّفوس مسالك ولمجال أنظارها ميادين متفاوتة، « فلكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، وهذا واضحا وجليا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب »⁽¹⁾، فقد راعى الخطاب القرآني النفس البشرية، وما جبلت عليه فأخذ بما يناسبها .

الاستدلال :

جاء خطاب " إبراهيم - عليه السلام -" مع قومه في سورة الأنعام، التي سماها بعض المفسرين بصورة الحجاج، ذلك أن فيها ذكر لأصول الدعوة إلى التوحيد، وحجاج الأنبياء مع أقوامهم فاعتمد - عليه السلام - في دعوة قومه على حجج عقلية، مستدلا على وجود خالق لهذا الكون غير الذي كانوا يعبدون من الأصنام، زعما بربوبيتها تحت أوهام تضافت، وتكاثرت عليها السنون حتى صارت عقيدة مترسخة فيهم، وقد ذكر الله تعالى كيف أنكرها أبو العرب وعدّها ظلّالا مبينا.

¹ - القطان إبراهيم، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، (1998)، ص:60.

ورد خطابه - عليه السلام - معطوفا على الآية السابقة ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام، الآية 66]، وردت هذه الآية في شأن إبطال الشرك، وإثبات التوحيد، « فعقبت تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء، بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجة الدامغة، والمناظرة الساطعة، ولأنها أعدل حجة في تاريخ الدين، إذ كانت مجادلة رسول لأبيه وقومه، وكانت أكبر حجة على المشركين من العرب بأن أباهم لم يكن مشركا ولا مقرا للشرك في قومه »⁽¹⁾.

ابتدأ "إبراهيم" - عليه السلام - خطابه مع أبيه وقومه بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرْتَنِحْدُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّةً قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) ﴾ [الأنعام، الآية 74-81].

فبعد أن استقص كل أساليب الدعوة بالرفق واللين مع أبيه، لجأ إلى خطاب أكثر حدة لعله يكون أشد وقعا على نفسه، فتوجه إليه مستفهما منكرا عليه عبادته لتلك الأصنام، واشتغاله بها مستخفا بعقله، إذ كيف يجعل مما يصنع إلهها يعبد.

أقام - عليه السلام - الحجة على أبيه وقومه لقولهم بتعدد الآلهة، « ذلك أن القول بكثرة الآلهة باطل بالدليل العقلي لقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

¹ - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج7، ص:310.

يَصِفُونَ ﴿[الأنبياء، الآية 22]، والدليل الثاني: أن هذه الأصنام لو حصلت لها قدرة على الخير والشر، لكان الصنم الواحد كافياً، فلما لم يكن كافي دل ذلك على أنها وإن كثرت فلا نفع فيها البتة»⁽¹⁾، فاتخاذ عدة صور لتلك الآلهة، دليل واضح على عدم نفعها، وعلى قصورها فجعل من النتيجة "الضلال البين" حجة، وأكد قوله بحرف التوكيد لبيان شدة ضلالهم.

استدرج "إبراهيم - عليه السلام -" قومه لقبول الإرشاد بالدليل، ذلك أن الله مكنه من ذلك بقدرة منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، إذ مكنه من الحجة والقدرة على إبهات قومه بالتدليل، فلجأ إلى مسايرتهم في زعمهم، ليصل بهم إلى نتيجة تظهر ضلالهم، فقد علم: « من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل، أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه فمال إلى طريق يستدرجهم به إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مسانداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان»⁽²⁾، فقد لجأ - عليه السلام - إلى استدرجهم بالكلام حتى يستمر معهم في المحاورة .

الاستدلال بمسايرة الخصم :

أراد "إبراهيم" - عليه السلام - أن يصل بقومه إلى التوحيد، فبرهن على عدم استحقاق تلك الآلهة للعبادة بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)﴾.

¹ - فخر الدين الرازي محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط3، (1420هـ)، ج13 ص:33.

² - المصدر نفسه، ج13، ص:41.

فاستدل بأفول الكوكب، والقمر والشمس على امتناع صفة الألوهية، وعدم استحقاقها للعبادة، وذلك بإيهامهم بأنه على مذهبهم، حتى يضمن استمرار المحاورة، بقوله: هذا ربي ! وهو قول: «من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم ينكر عليه بعد حكيه فيبطله بالحجة»⁽¹⁾، فعمد "إبراهيم - عليه السلام" لهذه الطريقة، من أجل إبطال زعمهم بربوبية تلك الأجرام، بالدليل المرئي، عسى أن يؤثر فيهم ويرجعهم إلى رشدهم، فانتقال تلك الأجرام من مكان إلى مكان وتغيرها من حال إلى حال، وحدوثها وغياها، يجعلها تفتقر إلى محدث يحدثها، ذلك أن الإله حي قيوم رقيب على عباده.

فلكي ينكر استحقاقها الألوهية ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴾ ؛ أي لا أعبد الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، فالحب هنا مقصود به العبادة، فلا عبادة بدون حب، ولجأ - عليه السلام - للاستدراج ذلك أنه « لا طريق إلى إبطال القول بعبادة الأصنام، إلا بإبطال كون الشمس والقمر وسائر الكواكب آلهة لهذا العالم مدبرة له »⁽²⁾، فمن أجل كسر مذهبهم، أوهمهم بأنه شريكهم في البحث عن الحقيقة، حتى لا ينفروا من تلقي الإرشاد منه، فعمل على إدخال الشك في نفوسهم بمعتقدهم بقوله: ﴿ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾، فمسايرة الخصم للوصول إلى الحقيقة، يكون أكثر تأثيرا وإقناعا، لذلك انتظر - عليه السلام - ثبوت الأفول للشمس، لتعميم حكم القصور، وعدم الاستحقاق على ما سواها من الأجرام، ذلك أن الشمس أكبر نورا منها كلها، فاعتمد - عليه السلام - آلية حجاجية قائمة على المشاهدة، لأنها أقوى دليل، وقد ذكرها الرازي بقوله: « إن الأخذ من الأدون فالأدون مترقا إلى الأعلى فالأعلى له نوع تأثير في التقرير والبيان والتأكيد لا يحصل من غيره فكان ذكره على هذا الوجه أولى »⁽³⁾.

¹ - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، (1407هـ) ج2، ص: 40.

² - فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج 13، ص: 38.

³ - فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج13، ص : 46.

فاتباع هذه الآلية في الاستدلال، يكون أوضح في الذهن وأقدر على التأثير و الإقناع ، ذلك أن مدارك الناس تختلف فتدرج "إبراهيم" - عليه السلام- في إقامة الحجة عليهم « ذلك أن كثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى تكرار الدرس الواحد، فكما أن كثرة التكرار تفيد الحفظ المتأكد الذي لا يزول عن القلب فكذا هاهنا ...أن القلب عند الاستدلال كان مظلمًا جدًا، فإذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد من الدليل الأول، امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة سائر الصفات الحاصلة في القلب، فحصل فيه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة، فيصير الإشراق واللمعان أتم، فالاستدلال الأول يكون كالصبح، ثم كما أن الصبح يتزايد بسبب تزايد قرب الشمس من سمت الرأس، فإذا وصلت إلى سمت الرأس حصل النور التام، فكذلك العبد كلما كان تدبره في مراتب مخلوقات الله أكثر، كان شروق شمس المعرفة والتوحيد أجلى»⁽¹⁾.

وبالتالي فإن تجلي الحقائق يكون بالتدرج، لا دفعة واحدة ، خاصة في أمور العقيدة إذ تحتاج إلى التروي في تقديم الأدلة، حتى يكون ذلك نافعا ومؤثرا، في نفوس أعمائها ظلام الشرك عن رؤية الحق ، ولما أتم - عليه السلام- استدلاله بالنجم والقمر والشمس ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فأعلن طاعته لله خالق السماوات والأرض، وتبرأ من شركهم، فحكمه على السماوات والأرض بأنها مخلوقة، لأجل التدليل الذي ذكره في النجم والقمر والشمس، « فذلك الدليل لو لم يكن عاما في كل السماوات والأرض، لكان الحكم العام بناء على دليل خاص، و أنه خطأ فثبت أن ذلك الدليل كان عاما فكان ذكر النجم والقمر والشمس كالمثال لإراءة الملكوت، فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت تعريف كيف دلالتها بحسب تغييرها وإمكانها وحدوثها على وجود الإله العالم القادر، فتكون الإراءة بالقلب لا بالعين»⁽²⁾.

¹- المصدر نفسه، ج13، ص: 37.

²- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج13، ص: 36.

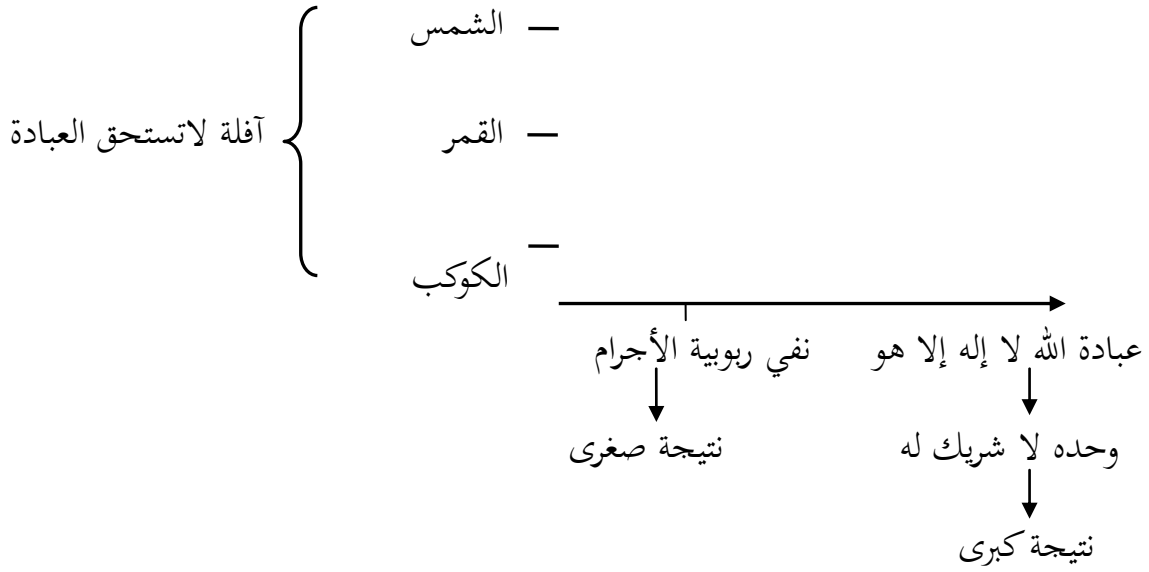
فالحجّة الأخيرة التي أوردها - عليه السلام- خلق السماوات والأرض، تخدم الدعوة ككل باعتباره جاء برسالة التوحيد، فدلالة خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الأجرام، فهي حجّة مضمرة لم يفصح عنها، بل جاءت مترتبة عن الدعوة الأولى؛ « فهي حجّة مستنبطة من دلالة أحوال الموجودات، ونقصد بالموجودات تلك الأجرام التي عمد إبراهيم إراءتها لقومه النجم، القمر الشمس، فأفولها دل على وجود صانع لها، ليعلم لهم في النهاية كنتيجة حتمية أنه يعبد صانع السماوات والأرض، ولن يشاركونهم في شركهم هذا»⁽¹⁾، فالارتقاء بالاستدلال من ثبوت الأفول في بعض الأجرام، مما ينفي عنها استحقاق الربوبية، إلى الاستدلال بخلق السماوات والأرض على وجود خالق لهذا الكون مدير له، كفيل بإقناع هؤلاء القوم بصحة دعواه.

أثبت "إبراهيم - عليه السلام-" صحة مذهبه بالتدليل، وهدم مذهب قومه المشركين إلا أن تصميمهم على الكفر، كان أكبر من أن يدعوا للحق، إذ لجأوا إلى تخويفه بانتقام آلهتهم منه لنكرانه لها، فلا برهان ولا دليل يُجابهون به حججه - عليه السلام - ، فقد أثبت القرآن في غير موضع عجزهم عن المحاججة، وهذا جلي في قوله تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء، الآية 24]، فالكفر أعمى بصيرتهم وغشي الجهل على قلوبهم، فكان رده- عليه السلام- ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾، فهو مدرك أن الله وحده القادر على النفع والضرر، ولا حول ولا قوة لتلك الأصنام، فمعبوده أحق بالخوف من تلك الآلهة، وهذا ما بينه بقوله: ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

السلم الحجاجي:

حجة كبرى ← خلق السماوات والأرض

¹⁻ ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج7، ص: 314.



اعتمد "إبراهيم - عليه السلام -" إستراتيجية ساير قومه في زعمهم، حتى يبين لهم بالدليل ضلالهم فاستدرجهم بما يليق بهم، فعمد إلى تبني مذهبهم بقوله " هذا ربي " عند رؤية الكوكب والقمر والشمس، فلما ثبت أفولها، نفى استحقاق تلك الآلهة للربوبية، بقوله " لا أحب الآفلين " ليشير بعد ذلك إلى أنّ خلق السماوات والأرض، أعظم من خلق تلك الأجرام، وهي أبلغ دليل على وجود خالق لهذا الكون يستحق العبادة، فأعلن طاعته وعبادته لله وحده لا شريك له.

الاستدراج بالسؤال:

سورة الأنبياء من السور المكية التي جاء فيها ذكر قصص بعض الأنبياء، وتفانيهم وإخلاصهم في تبليغ رسالة التوحيد لأقوامهم، حيث تحدث فيها المولى - عز وجل - عن العقيدة والبعث والجزاء، والساعة وأشراتها، والقيامة وأهوالها، فبدأت السورة بذكر غفلة الناس عن الآخرة والحساب، وانشغالهم بمغريات الحياة عن القيامة، إذ بينت لنا السبل التي انتهجها الأنبياء في الدعوة، وقد ورد خطاب "إبراهيم - عليه السلام -" مثلاً في نبد الشرك، بمجابهة قومه بالحجة والدليل، لإعلان كلمة التوحيد.

لقد كانت مناظرته - عليه السلام - لقومه شاهداً على بطلان الشرك، الذي كان مماثلاً لحال مشركي مكة، فكان ذكره تسلياً للرسول - صلى الله عليه وسلم - ليخفف عنه وطء ظلم المشركين بمكة، بذكر حال "إبراهيم - عليه السلام -" مع أبيه وقومه بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥١﴾﴾. [الأنبياء، الآية 51-52]، وهو متعلق بآتيننا "إبراهيم" رشده من قبل، ذلك أن "إبراهيم - عليه السلام -" كان المثل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك، بإقامته هيكل التوحيد بمكة "الكعبة الشريفة" « ففي ذكر قصته تورك على المشركين من أهل مكة، إذ كانوا على الحالة التي نعاهم إبراهيم على قومه ... فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى »⁽¹⁾.

فالرشد والصلاح، تمثل في إنكاره لتلك التماثيل التي عبدها قومه، فكانت مناظرته معهم مبنية على السؤال والجواب شكلت بنية خطابية جاءت كالتالي:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

1 - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص: 91.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) ﴿ [الأنبياء الآية 52-69] .

استدرج "إبراهيم - عليه السلام -" قومه باستفهام فاتحا للمخاطبة بقوله: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾، إيماء إلى عدم الملائمة بين حقيقتها المعبر عنها بالتماثيل، وبين وصفها بالمعبودية المعبر عنها بعكوفهم عليها، فكان تعبيره فيه تجاهل لتلك التماثيل، إذ أوهمهم بأنه يستفهم مستعلما، تمهيدا لتخطئتهم بعد سماع جوابهم، الذي كان ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾، لأنه مدرك بأنه لا حجة لهم إلا التقليد، الذي يوحى بسداجة عقولهم « ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان »⁽¹⁾، من جواب لسؤال الحجة، فهذا هو الضلال بعينه وأكد ذلك قوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، ولام القسم تأكيد لانغماسهم في ظلام الشرك مع أسلافهم « فلما ذكروا له آباؤهم شركهم في التخطئة بدون هوادة، بعطف الآباء عليهم في ذلك، ليعلموا أنهم لا عذر لهم في اتباع آبائهم، ولا عذر لآبائهم في سن ذلك لهم، لمنافاة حقيقة تلك الأصنام لحقيقة الألوهية »⁽²⁾، فتقليد السلف لا يضيف الشرعية على مذهبهم، وإنما هم شركاء في ضلالهم مع آبائهم، فحجتهم حجة واهية لا تستند إلى منطق ولا لإمعان عقل.

وإنكار "إبراهيم - عليه السلام -" لمذهب قومه، وحكمه عليهم بالضلال، جعلهم يشكون في حقيقة دعوته، بقولهم ﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾، واللعب هنا مقصود به " لعب القول "، وأرادوا من ذلك « تأويل كلامه بالمزح والتلطف معه، وتجنب نسبته إلى الباطل استجلابا لخاطره لما رأى من قوة الحجة »⁽³⁾، فحجته - عليه السلام -، كانت أشد وقعا على نفوسهم فجعلتهم في حيرة من أمرهم، بعدما أكد لهم بأنه جاءهم بالحق، وبين لهم ذلك بقوله: ﴿ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾، فهي النتيجة التي كان يريد

1 - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ص: 150.

2 - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص: 95.

3 - المصدر نفسه، ج17، ص: 95.

أن يوصل قومه إليها، أنه لا معبود يستحق العبادة غير الله - سبحانه وتعالى - وأنه: «مرسل من الله لإقامة دين التوحيد، لأن رسول كل أمة شهيد عليها»⁽¹⁾.

المناظرة بالفعل:

لم يكن استدراج "إبراهيم - عليه السلام -" قومه بالحجج والأدلة كافياً، وإنما زادهم ذلك عنادا وكفرا، وتمسكا بمذهب آبائهم، وهذا ما دفع "إبراهيم" إلى تغيير إستراتيجيته معهم، لعل ذلك يكون دافعا لرضوخهم، وسبيلا للتأثير في نفوسهم التي تغلغل فيها الشرك، فانتقل - عليه السلام - من تغيير المنكر بالقول إلى التغيير بالفعل، وذلك بإقامة دليل مرئي أمام أعينهم، بعزمه على تحطيم تلك التماثيل بقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، فاختار وقت غيابهم عنها لتحطيمها، حتى يقيم عليهم الحجة، ويعترفوا بأنفسهم على قصورها، وعدم استحقاقها الألوهية، فجعلها جذاذا وأبقى على كبير تلك الأصنام، حتى يكون السبيل في إقناعهم بعدم نفعها حتى لذاتها.

فقد سأل القوم "إبراهيم - عليه السلام -" إن كان هو من حطم أصنامهم ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَلْهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، فكان جوابه ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فرد فعل التحطيم إلى الصنم الذي أبقى عليه، مضمنا قوله بحجة ساخرا بهم، مستخفا بعقولهم فكأنه قال لهم: «لو كان هذا إلها لما رضي بالاعتداء على شركائه، فلما حصل الاعتداء بمحضر كبيرهم تعين أن يكون هو الفاعل لذلك»⁽²⁾، فلجوء "إبراهيم - عليه السلام -" إلى هذا السبيل إنما كان لأجل أن ينبه قومه أن الأصنام لا ضرر فيها ولا نفع، وهي قاصرة عن الدفاع حتى على نفسها، فكيف بها تنفعهم، فنفي صفة النطق كفيلا بنفي صفة الألوهية عنها.

¹- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص: 96.

²- المصدر نفسه، ج17، ص: 102.

فتعريض "إبراهيم - عليه السلام -" بقومه بأن نسب فعل التحطيم للصنم الكبير، إنما كان يقصد « تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة»⁽¹⁾ فأدى هذا الشاهد إلى فتور في المحاورة، إذ يبدو واضحاً من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾، إلى أنهم كادوا أن يعترفوا بحجة "إبراهيم - عليه السلام -"، غير أن عنادهم كان أقوى من ذلك، فرجعوا إلى المكابرة والانتصار لآلهتهم فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، فجعلوا من حجته سبيلاً لخدمة غرضهم، كأنهم قالوا: « أنت تعلم أن هذه الأصنام لا تنطق، فما أردت بقولك إلا التنصل من جرميتك »⁽²⁾، فرغم معرفتهم بأنها قاصرة، إلا أنهم تمسكوا بها، ولم يجدوا خلاصاً إلا إهلاكه بالحرق ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

غلب "إبراهيم - عليه السلام -" قومه بالحجة والدليل العقلي، وجعل الحادثة تنطق أمام أعينهم، بإعطائهم مظهراً حياً ملموساً لا مجال لمجابهته، فلم يجدوا سبيلاً للكيد منه، إلا إحراقه « وكذلك المبطل إذا قرعت باطله حجة فساده غضب على المحق ولم يبق له مفرغ، إلا مناصبته والتشقي منه »⁽³⁾، عكست هذه المجادلة تصلب الجاحدين، الذين يجادلون بغير دليل، ولا برهان ما جعل سلطة الفعل أقوى من قوة الحجة والدليل.

مناظرة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه وقومه:

ذكر المولى - عز وجل - في أول سورة الشعراء، شدة حزن محمد - صلى الله عليه وسلم - وذلك بسبب تعنت قومه في الكفر، وشركهم بالله، ثم تلاها بقصة "موسى - عليه السلام -" وأعقبها برسالة "إبراهيم - عليه السلام -" فقدمت هنا على قصة "نوح - عليه السلام -" على خلاف المعتاد، في ترتيب قصصهم في القرآن، لشدة الشبه بين قوم "إبراهيم عليه السلام" ومشركي العرب في عبادة الأصنام، فدعاهم إلى الاستدلال على عدم استحقات تلك الأصنام العبادة، استناداً على

¹ - الرازي فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج22، ص: 156.

² - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص: 104.

³ - المصدر نفسه، ج17، ص: 105.

دعامة الفطرة والعقل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنل عَلَيْهِم نَبأُ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾ [الشعراء، الآية 69-82].

كان "إبراهيم" - عليه السلام - يعلم أن قومه عبدة أصنام، إلا أنه توجه لهم بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فكان استفهامه لغرض افتتاح المناظرة « فألقى عليهم هذا السؤال ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم، فتلوح لهم من خلال شرح ذلك لوائح ما فيه من فساد، لأن الذي يتصدى لشرح الباطل يشعر بما فيه من بطلان عند نظم معانيه أكثر ما يشعر بذلك من يسمعه»⁽¹⁾.

فعمد "إبراهيم" - عليه السلام - إلى هذا السؤال، حتى يكون جوابهم سبيلا للاحتجاج عليهم بانتفاء استحقاق آلهتهم العبادة، وذلك بعد تعيينهم نوع معبوداتهم، إذ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فلا حجة لهم، إلا إتباع آبائهم، وذلك ينم عن جهلهم وسذاجة عقولهم المتقبلة لعقيدة الأسلاف دون إمعان أو تدبر لحقيقتها «التقدم والأولوية لا يكون برهاناً على الصحة

والباطل، ولا ينقلب حقا بالقدم»⁽²⁾، فالتقليد لا يلغي عنهم اللوم، في كونهم منغمسين في الشرك، وهنا يقيم عليهم الحجة، بعد أن بين لهم أن حججهم واهية ولا أساس لها من الصحة، إذ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿

¹ - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص:138.

² - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص: 318.

فصرح بعداوتهم وآبائهم له في الدين لشركهم بالله - سبحانه وتعالى - « وكلمة عدو جاءت مفردة، مع أنها مسبوقه بضمير الجمع "فإنهم" ذلك أن العداوة في أمر الدين واحدة، على خلاف العداوة في أمر الدنيا لأنها متعددة الأسباب »⁽¹⁾، فعبادته - الله تعالى - مستندة إلى دليل تدركه العقول، بخلاف مذهبهم المبني على التقليد الأعمى « فكأن الحق تبارك وتعالى يقول لهم يا أغبياء اعلّموا أن للعبادة أسبابا وحيثيات»⁽²⁾، ويوضح "إبراهيم - عليه السلام" هذه الحيثيات التي توجب عبادة الله - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾.

بيّن "إبراهيم - عليه السلام -" فساد عبادة الأصنام، وعدم استحقاقها مراتب الألوهية بالحجج والبراهين، وصرح أن ما يعبد هو المستحق للعبادة، لأنه خالقه، ورازقه، وممّيته ومحبيه وغافر ذنبه يوم الدين.

مناظرة إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود :

جاء خطاب "إبراهيم - عليه السلام -" مع النمرود في سورة البقرة، حيث شكلت مناظرة بالغة الحجّة والبرهان، في درع الباطل والبهتان، وابتدأ الخطاب بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) ﴾ [البقرة، الآية 258].

افتتحت المناظرة باستفهام ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾، و« الاستفهام في (ألم تر) مجازي متضمن معنى التعجب »⁽³⁾، هدفه تمثيل حال المشركين في مجادلتهم للنبي - صلى الله عليه

¹ - الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي - خواطر -، ج17، ص: 10591.

² - المصدر نفسه، ج17، ص: 10592.

³ - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص: 31.

وسلم - حول حقيقة البعث، ومعنى حاج "إبراهيم" جادله جدالاً باطلاً في شأن صفات الله - سبحانه وتعالى - إذ أوحى قوله: ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أن "النمرود" سأله من ربك؟ وهو المطالبة بدليل يثبت وجود الرب الذي يدعو إليه، فكان جوابه - عليه السلام - بأنَّ رَبَّهُ قادر على الإحياء والإماتة، وهي حجة قاطعة يدركها كل عاقل، « وهذا استدلال مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى، وإبطال إلهية غيره، للإفراد بالإحياء والإماتة، وإنفراده بخلق العوالم المشهودة للناس »⁽¹⁾، وهنا ادعى "النمرود" الإتيان بمثل ذلك عن جهل وغرور، بقوله: ﴿ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ﴾.

وقد عدل "إبراهيم - عليه السلام -" عن الاعتراض، لما رآه من تعنت خصمه، لأن ما جابه به من الإحياء والإماتة ليس بالذي يحتج به، فانتقل إلى ما لا يستطيع "النمرود" ولا غيره من الجاحدين للدين الحق نكرانه أو إبطاله، بقوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾، إذ أراد - عليه السلام - أن يخرج "النمرود" من دائرة الربوبية، التي وضع فيها نفسه، باستدلال منطقي واضح كأنه قال له: « إذا كنت تدعي الألوهية وأنت تحي وتُميت كما يفعل رب العالمين - جل جلاله - فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق بأمر الله ومشئته فأطلعها من المغرب بقدرتك وسلطانك ولو مرة واحدة »⁽²⁾.

فتسير الكون، قدرة إلهية يختص بها الخالق - عز وجل - وحده، ولا نظير له في هذا، ولا مجال للمُجابهة، لا من "النمرود" ولا غيره من المنكرين، وهنا يبين الخطاب القرآني، عجز "النمرود" عن التحدي بقوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾، فالحجة دامغة والدليل مفحم ولا سبيل للمناظرة « وذلك لأن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ألهمه مولاه أن يسلك مع عدو الله أسلوباً قاطعاً لكل جدل دامغاً لكل حجة »⁽³⁾، وغياب الرد له دلالة حجائية هامة، وقد أكدها قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا

¹ - المصدر نفسه، ج3، ص:31.

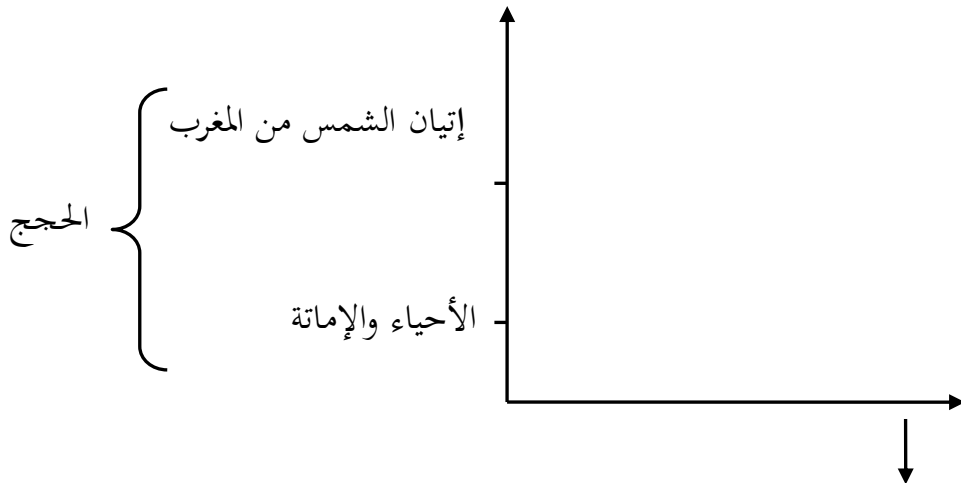
² - الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (1417هـ، 1997م)، ج1 ص:149.

³ - محمد عبد الله بن الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، (1383هـ، 1964م)، ج1، ص:51.

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾، وهذا دليل على نفي الله هدي القوم الظالمين فالآية دليل على جواز المناظرة في إثبات العقيدة، وقد أورد القرآن الكريم في هذا نصوص عدة، وأما ما نُحَى عنه من الجدل، فهو الجدل الذي فيه مكابرة وتعصب بدون وجه حق لأن فيه ترويج للباطل.

السلم الحجاجي :

لقد شكلت مناظرة "إبراهيم عليه السلام" مع "النمرود" تفاعلا كبيرا ، والتي كان أساسها إقامة الحجة من خلال سؤال "النمرود" "إبراهيم" -عليه السلام- من هو ربك ؟ المستوحى من قول "إبراهيم" ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، وهذا ما دفع "إبراهيم -عليه السلام" لإثبات الربوبية، والقدرة على الإحياء والإماتة لله الواحد الأحد، باعتبار أن الموت والحياة بيد الله وحده فرتب حججه -عليه السلام- من قدرة الله - سبحانه و تعالى- على الإحياء، والإماتة، مروراً إلى تبيان قدرته على تسيير الكون، انطلاقاً من شروق الشمس وغروبها، وتعجيز "النمرود" بطلب الإتيان بهذه الآية على عكس المعهود - وهو اطلاق الشمس من المغرب-.



نتيجة كبرى إثبات الألوهية لله - عز وجل -

الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب إبراهيم - عليه السلام-:

الرابط "بل": يذكر النحاة أن بل تكون لنفي كلام واثبات غيره، فهي رابط حجاجي يجمع بين حجتين، لا تنتميان إلى فئة حجاجية واحدة، ونذكر من خطاب "إبراهيم" ما يبين ذلك:

أجاب "إبراهيم - عليه السلام-" قومه بعد ما سألوه بقولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء، الآية 55] بقوله: ﴿قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء، الآية 55-56]، وتفيد هنا الإضراب الإبطالي، حيث أبطل قولهم بأنه من اللاعبين، وأثبت بالرباط بل، أنه يعبد خالق السماوات والأرض وذكر "ابن عاشور" أن هذا الإضراب انتقال للأرتقاء حيث ارتقى من نفي الألوهية عن تلك الأجرام إلى إثبات أن هناك خالق لهذا الكون ومدبر له بالإستدلال بخلق السماوات والأرض⁽¹⁾.

أما قوله ردا على سؤال قومه: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء، الآية 62-63]، فنسب فعل التحطيم للصنم الكبير على سبيل السخرية، فجاءت الجملة بعد بل مخالفة لما قبلها، فدللت على أنه لما كان الصنم لا يستحق العبادة، كونه عاجز، ألزمهم الحجة بأن يسألوهم حتى يثبت لهم أنهم عاجزين باعترافهم بعدم قدرتها على النفع أو الضر، وهنا يأتي دور "إبراهيم" لإثبات الوحدانية لله تعالى القادر على كل شيء .

¹- ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص: 96.

الجملة المؤكدة بـ "إنَّ" : « تستخدم هذه البنية لتصحيح أمر سبق ذكره أو تأكيده »⁽¹⁾
ومن أمثلتها في خطاب "إبراهيم" نجد:

- قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مریم، الآية 41].

بحيث تكون البنية المحاجية كما يلي :

- النتيجة : صديقية "إبراهيم" .

- الرابط : إن .

- الحجة : ذكره في الكتاب .

فحجة ذكر "إبراهيم- عليه السلام-" في الكتاب نتيجة لصديقيته .

قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مریم، الآية 43].

- النتيجة : الهداية .

- الرابط : إنَّ .

- الحجة : حصول بعض العلم "لإبراهيم- عليه السلام-" .

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام، الآية 79].

- النتيجة : العبادة والطاعة .

- الروابط : إنَّ .

- الحجة : خلق السماوات والأرض .

¹- القرطبي أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن محسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، (2006)، ج14 ص:

- الاستفهام:

وظَّف "إبراهيم - عليه السلام -" الاستفهام في خطابه بشكل لافت للانتباه، ذلك أنه يكمن على طاقات تعبيرية انفعالية، وتأثيرية على نفوس السامعين، وله القدرة على توجيه الخطاب خاصة عندما يكون الخطاب مبني على المناظرة والحوار، لأن فيه جذب للانتباه وعامل أساس في الإقناع وللوقوف على عاملية الاستفهام في خطاب "إبراهيم - عليه السلام -" نذكر بعض الشواهد:

- الاستفهام بالهمزة: تعد الهمزة من الأدوات التي تهيئ الأذهان وتثيرها لمعرفة المستفهم عنه

وتخرج إلى عدة أغراض منها:

- الإنكار: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام، الآية 74]، إذ خرج بالاستفهام إلى الإنكار، الذي يصل حد التوبيخ، فأنكر - عليه السلام - اتخاذ أبيه أصنام يصنعها بيده آلهة يعبدها، فأثار باستفهامه ما لم يكن حاضر في ذهن أبيه، من أجل استدراجه للحوار ودفعه إلى الانتباه إلى ما يلحق الاستفهام من كلام.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام، الآية 80]، إنكار للواقع، فهو يوجههم لحجاجهم الذي لا يستند إلى برهان، ويؤيسهم بأنه لا مطمع لهم بعودته إلى عبادة أصنامهم.

- النفي: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء، الآية 66]

فأفاد استفهامه هنا نفي عبادة ما لا ينفع ولا يضر، وذلك حثا لهم على التفكير والتدبر فيما يعبدون، و النفي الصريح قد لا يابه له قومه.

- التقرير: في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء، الآية 81] حتى

يقرر أن فريقه هو الأحق بالأمن .

- الأمر: في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنبياء، الآية 80].
 وقوله أيضا: ﴿ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء، الآية 67] فظاهر القول استفهام، إلا أن معناه الأمر، إذ أمرهم أن يعملوا عقولهم وبمعنوا فيما يعبدون من غير الله.

استدرج "إبراهيم" - عليه السلام- قومه بالاستفهام، ذلك أنه رأى فيه سبيلا لإقناع، لأنه يحقق التواصل، فيصبح للمتلقي دور فاعل في الحوار، وبالتالي يسمح ذلك بإيضاح الحقائق وجلائها بخلاف الأسلوب الخبري يكون فيه المتلقي مستمعا فحسب.

اعتمد "إبراهيم - عليه السلام-" إستراتيجية خطابية فريدة، لإقناع أبيه وقومه بفساد عبادتهم لتلك الأصنام، فدعاهم إلى التوجه بالعبادة لله، خالق الكون والإخلاص له دون غيره، لأنها مخلوقاته ولا ضر فيها ولا نفع، وأن الله هو من يضر وينفع، وهو من يسير الكون، فهو وحده القادر على الإحياء والإماتة، وبيده ملكوت السماوات والأرض وما دونه فهو باطل، فاتبع إستراتيجية النصح والإرشاد، مراعي علاقة الأبوة والبنوة التي تربطه "بآزر"، ولما رأى شدة تمسكه وقومه بعقيدة آبائهم، وتعنتهم في تلقي الإرشاد منه لجأ إلى خطاب أكثر حدة لعل ذلك يترك أثرا في نفوسهم، ويردعهم عن شركهم فاستدرجهم بالمحاوره، وإلقاء الحجج والدليل على قصور ما يعبدون من دون الله، وانتقل من المجرى إلى المحسوس، حتى ينير عقولهم ويدفعهم إلى الاقتناع بصحة ما يدعو إليه، فهدم معتقدتهم بالأدلة والبراهين التي مكنه الله بها بقدره منه، فاتبع في كل ذلك آداب الحوار والوعظ

البلوغ، غير أن ظلمة الكفر والشرك، كانت أقوى من ذلك، وسلطة القوة هي النظام السائد، فلا حجة ولا دليل ينفع مع الجاحدين فالهداية من الله، فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

التعريف بإبراهيم - عليه السلام -:

ولد "إبراهيم - عليه السلام -" في العراق في أرض بابل، في عهد ملك طاغية اسمه "النمرود" في قوم انتشرت فيهم عبادة الأصنام، في زمان يرجع تاريخه إلى سنة 2000 قبل الميلاد؛ أي منذ نحو أربعة آلاف سنة، كان "إبراهيم - عليه السلام -" منذ طفولته حتى وصوله إلى مرحلة التمييز يعيش في معزل عن قومه، وقد كانت فطرته - عليه السلام - طاهرة زكية، وقلبه سليم لم يتلوث بالأدناس، وعبادة الأوثان، وكان بعيدا عما كان عليه قومه، وقد لا نجد رسولا يجمع عليه أهل الأديان السماوية، مثل "إبراهيم - عليه السلام -" فهو أصل الشجرة الطيبة، شجرة النبوة، وهو إمام الناس جميعا، فما من نبي جاء من بعده إلا دعا إلى مثل ما دعا إليه، - عليه السلام -⁽¹⁾.

التعريف بآزر:

اختلف أهل العلم في لفظه "آزر" فهناك من قال أعجمي، وهو مشتق من آزر فلان فلانا إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام، وجاء في التاريخ الكبير "للبخاري" أن "إبراهيم - عليه السلام -" ابن "آزر"، وهو في التوراة "تارخ" والله سماه "آزر" وكان من "كوثي" وهي قرية من سواد الكوفة.

وكان "آزر" سيد قبيلة "أور" في بلاد بابل، كما كان يتزعمهم في شؤون دينهم ويقودهم في عبادة الأصنام، فجعلته تلك الظروف منحتا للآلهة، يبيعها لقبيلته ولغيرهم يربح من ورائها مبالغ طائلة⁽²⁾.

¹- ينظر: العقاد عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص: 09.

²- ينظر: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، (1995م)، ج4 ص:174.

التعريف بالمرود:

هو "مرود" بن كنعان بن سنحاريب، وهو أول من تجبر وادعى الألوهية، كان ملكا زمن سيدنا "إبراهيم - عليه السلام -"، وكان أصحابه من المنجمين الذين يتنبأون بأحوال الناس فكانت سطوته من سطوتهم⁽¹⁾.

¹ - ينظر: الشعراوي محمد متولي، قصص الأنبياء، دار القدس، ط1، (2006م)، ص: 75.

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- ابن رشيقي القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، دار صادر، بيروت، ط1، (2003 م).
- 2 إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار المجدلاوي الأردن (د.ط)، (1993م).
- 3- إبراهيم السامري: من أساليب القرآن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط) (1407هـ، 1987م).
- 4- ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة، مصر، ط2 (د.ت).
- 5- ابن العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ط)، (1402هـ، 1982م) ج2.
- 6- ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط) (1984م)، ج3.
- 7- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: تأويل مُشكل القرآن، شرح ونشر: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، (1402هـ، 1981م).
- 8- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1 (1426هـ، 2006م).
- 9- أبو زهرة محمد بن أحمد: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت)، ج9.
- 10- أبو زيد نصر حامد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 (2000م).

- 11- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان الرباط، ط1، (1431 هـ، 2010م).
- 12- أحمد أمين، وزكي نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، اللجنة للتأليف والترجمة والنشر، ط5 (1964 م).
- 13- أحمد بن عبد الله البدوي : من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، (د.ط) (2005)، ج1.
- 14- أحمد بن فارس: النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، (1409 هـ، 1989م).
- 15- أحمد يوسف: سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر ط1، (2004م).
- 16- إدريس حمادي: المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1 (1998م).
- 17- الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، (1992م).
- 18- الباجي أبو الوليد: المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، المغرب الإسلامي المغرب، ط2، (1987م).
- 19- الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة مصر، ط3، (د.ت).
- 20- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر (د.ط) (د.ت) ج1.

- 21- الجرجاني أبي بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د. ط) (1981م).
- 22- الجرجاني أبي بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق وتهميش، محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1425 هـ، 2005م).
- 23- الجرجاني أبي بكر عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، ط2 (د.ت).
- 24- الخوارزمي محمد أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط2، (1409 هـ. 1989م).
- 25- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2 (1391 هـ، 1972م)، ج2.
- 26- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، (د. ط)، (د.ت)، ج3.
- 26- الزمخشري محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق و تعليق، محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج5.
- 27- السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
- 28- الشعراوي محمد متولي: تفسير الشعراوي- الخواطر-، مطابع أخبار اليوم، (د. ط) (1997م) ج15.
- 29- القرطاجني أبو حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

- 30- القطان مناع بن الخليل: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3 (1421هـ، 2000م).
- 31- آمنة بلعلي: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، (2005م).
- 32- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي وأبعاده النصية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العددان (48، 49) (شباط، 1989).
- 33- سليمان عشراقي: الخطاب القرآني، مقارنة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (د. ط)، (1998).
- 34- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: التصور الفني في القرآن، دار الشروق، ط17، (د.ت)، ج1.
- 35- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط34 (1425هـ، 2004م)، مج5.
- 36- شكري عزيز ماضي: من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، (1997م).
- 37- شكري مبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، منوبة، (د. ط)) (د. ت).
- 38- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- 38- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، (1998م).

- 39- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط2(2000 م) .
- 40- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق ، المغرب ط1، (2005م).
- 41 - عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 (2001م).
- 42- عبد الله دراز: النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط6، (1405هـ.1984م).
- 43- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ط1، (2004م).
- 44- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري، من البنية إلى السياق، دار الثقافة للنشر والتوزيع مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1421هـ، 2000).
- 45- محمد أبو سالم أبو العاصي: علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر، القاهرة ط1، (1426هـ، 2005)، ج1.
- 46- محمد بكر إسماعيل: دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، (1419هـ، 1999م) ج1.
- 47- محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت).
- 48- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، (1994م).
- 49- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه، ط3، (د. ت)، ج2.

- 50- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، (2006م).
- 51- مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية (د. ط) (د. ت).
- 52- مصطفى ديب البغا: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دالر العلوم الإنسانية دمشق، ط2، (1418هـ، 1998)، ج1.
- 53- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا، بيروت (د. ط) (1424هـ، 2003).
- 54- مفلح بن عبد الله: الخطاب القرآني وقضايا التأويل، دارا لخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر ط1، (1432هـ، 2010).
- 55- ناصر عمارة: اللغة و التأويل، مقاربات الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (1428هـ، 2007م).
- 56- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ و الإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، (2009).
- 57- وليد منير: النص القرآني من الجملة إلى العالم، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ط1، (1997).
- 58 - الألمعي زاهر عوض: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق، الرياض، ط3 (1404هـ، 1983 م).
- 59- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، (1407هـ) ج2.

- 60- الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، دارالصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 (1417هـ، 1997م)، ج1.
- 61- عبد الله بن إبراهيم الأنصاري: فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، صيدا بيروت. ط2 (1995م)، ج4.
- 62- العقاد عباس محمود: إبراهيم أبو الأنبياء، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. ط) (د. ت).
- 63- فخر الدين الرازي محمد بن عمر: مفاتيح الغيب أو التنفير الكبير، دار إحياء التراث العربي بيروت ط3، (1420هـ)، ج13.
- 64- فضل الله محمد حسي: الحوار في القرآن الكريم، دار المنصوري للنشر، الجزائر (د. ط)، (د. ت)، ج2.
- 65 - القرطبي أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن محسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، (2006)، ج14.
- 66- القطان إبراهيم: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط2 (1998).
- 67- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، (2005م).
- 68- محمد عبد الله بن الخطيب: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكبتها، ط6 (1383هـ، 1964م)، ج1.

69- محمد لعمرى: بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية إفريقيا الشرق، المغرب، ط2 (2002م).

70- مصطفى حميدة: الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لوبنجان، القاهرة، مصر، ط1 (1997م).

71- الناجح عز الدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1 (2011م).

المعاجم والقواميس:

75- ابن منظور جمال الدين بن مكرم: لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت ط1، (2000م).

76- أنس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج2.

77- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، (د. ط) (1982م).

المجلات والدوريات:

78- ألفاف إسماعيل أحمد الشامي، العوامل الحجاجية في شعر البردوني، النفي نموذجاً، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ج1، العدد 43، (12 ذي الحجة 1432 هـ، 30 أيلول 2010م).

79- الحواس مسعودي: البيئة الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، (أكتوبر العدد 12).

80- عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مقال ضمن مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر.

الرسائل الجامعية:

81- هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي مذكرة ماجستير في الأدب العربي ونقده، جامعة ورقلة، (2002، 2003م).

82- محمود عثمان ضمرة: الحوار في القرآن الكريم، أطروحة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس، (2005 م).

83- قدور عمران: تداولية الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، (2008، 200م).

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة الواردة فيها
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا... إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾	التوبة	14	60
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾		21	29
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ... وَلَا تُظَلِّمُونَ﴾		278-279	54
﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ... يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾		258	91-43
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾		133	71
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ.. كُنْ فَيَكُونُ﴾	آل عمران	59	68
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَبُ... أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	الأنعام	74-81	79
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى... الْعَذَابَ تَكْسِبُونَ﴾	الأعراف	37-39	19
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ... لِلَّهِ تَبَرًّا مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	التوبة	114	70
﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	هود	44	20
﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ... وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾		120	58

17	37	الرد	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.
30	40-35	إبراهيم	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا... رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.
14	09	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.
17	103	الأنعام	﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.
49 - 23	125		﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.
72 - 71	48-41	مریم	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا... وَأَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.
10	95	طه	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾.

80	22	الأنبياء	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ . ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ . ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ... قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ .
83	24		
86 - 85	69 - 52		
28	01	الحج	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ... السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ .
10	27	المؤمنون	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ... وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا نُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ .
10	63	الفرقان	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ .
89	82-69	الشعراء	﴿وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ... وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ . ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ . ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ .
17	195-192		
50	221		

33	27-26	الفصص	﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ... أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَّ لِئَ يَحْسَبُنَا لِحَاجَتِنَا فَإِنْ أَوَّحْتُنَا فِي حَنُونِكِ مَا نَشَاءُ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ . ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .
77	56		
10-09 09	20 23 83-82	س	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ . ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ . ﴿ قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ . ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ... يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .
29	26		
17	14	فصلت	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .
17	28	الزمر	﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .
14	11	الشورى	﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .
58	29	الدخان	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ .

37	35	الأحقاف	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ سَاعَةٌ... يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.
28	01	المزمل	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ ﴾.
28	01	المدثر	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾.
50 10-09	02-01 37	النبأ النبأ	﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴾. ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾.
32	19-15	النازعات	﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾.
50	01	الأعلى	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴾.

فهرس الموضوعات:

الشكر

إهداء

مقدمة.....أ- هـ.

تمهيد.....3.

الفصل الأول:

الخطاب القرآني:

مفهوم الخطاب لغة.....8.

أنواع الخطاب.....13.

تعريف الخطاب القرآني.....14.

خصائص الخطاب القرآني.....15.

مستويات الخطاب القرآني.....20.

بلاغة الخطاب القرآني.....24.

إستراتيجيات الخطاب القرآني.....26.

القصص القرآني.....34.

الفصل الثاني:

الإقناع مفهومه وآلياته:

- 38..... مفهوم الإقناع
- 39..... مفهوم الحجاج
- 40..... الإقناع والحجاج
- 42..... الحجاج في القرآن
- 43..... السلام الحجاجية
- 48..... الحوار في القرآن
- 52..... إستراتيجية الخطاب الإقناعي القرآني
- 54..... آليات الإقناع
- 54..... الآليات البلاغية
- 65..... الآليات اللغوية
- 66..... الآليات المنطقية

الفصل الثالث :

إستراتيجية الإقناع في خطابات إبراهيم - عليه السلام -:

- 70..... حوار إبراهيم- عليه السلام – مع أبيه
- 77..... مناظرة إبراهيم – عليه السلام- لقومه
- 79..... الاستدلال بمسايرة الخصم
- 83..... الاستدراج بالسؤال

.86.....	المنظره بالفعل
.89.....	منظره إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود
.98.....	خاتمة
.102.....	الملحق
.105.....	فهرس الآيات
.111.....	مكتبة البحث
.119.....	فهرس الموضوعات